

عبدالغنی

خاطرِ استتاریتہ

مقدمة

ختمنا هذه المجموعة من الرسائل بالرسالة الثامنة عشرة (سلام على ابراهيم)
وهي الرسالة التي كتبناها لتنشر يوم الاحتفال بالذكري المئوية لوفاة البطل ابراهيم باشا
ابن محمد علي الكبير . وكان من الطبيعي نشرها في أول الكتاب .

أما باقى الرسائل « مخاطرات تاريخية » منها خمس رسائل - وهي الرسالة الاولى
والثانية والثالثة والسادسة عشرة والسابعة عشرة - أملتها علينا حوادث فلسطين فذكرنا
بسوابق تاريخية لكل حادثة .

والرسالة الرابعة مقارنة بين حياة توحتمس الثالث فرعون مصر ومحمد علي باشا
الكبير .

والرسالة الخامسة يان بالاحتفالات التي أقيمت لذكرى مرور الف سنة على مولد
الفردوسى . ومولد ابن سينا . ومولد سعدى الشيرازى . ووفاة شكسبير أعظم شعراء
انجلترا فى القرن السادس عشر . ووفاة فيكتور هوغو أكبر شعراء فرنسا فى القرن التاسع
عشر - واحتفالات اخرى كثيرة . وبعدها عطفنا على النداء الذى نشرناه فى جريدة
« الاهرام » فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٣ وفيه ناشدنا مصر - حكومة وشعباً - بالاحتفال
بمرور ١٠٠٠ سنة على بناء مدينة القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر .

والرسالة السادسة خاصة بوجوب الالتفات بالأراضى البور المرتفعة التى تحيط
بجبل المقطم بالطريقة التى اتبعها الامبراطور اغسطس L'empereur Auguste للالتفات
بالأراضى المرتفعة الواسعة القرية من مدينة نيم Nimes بفرنسا .

والرسالة السابعة كلام على سيدنا آدم وسيدنا نوح وسيدنا موسى وسيدنا يسوع
المسيح وسيدنا محمد .

والرسالة الثامنة توازن بين جهاد الأمير عبد القادر الجزائري والأمير عبد الكريم المراكشي .

والرسالة التاسعة كلام على المياه الصالحة للشرب ووجوب توفيرها لأهالي الريف والطريقة التي اتبعتها في مزرعة لي وأنت بأحسن النتائج .

والرسالة العاشرة نبذة تاريخية على تملك الأجانب أراض في مصر وفي تركيا .

والرسالة الحادية عشرة كلام على معرفة جنس المولود قبل الوضع ان كان ذكرًا أو أنثى وتذكير الجنين قبل ولادته . شفغناه ببيان أصل تلقيب أولياء العهد في إنجلترا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا ومصر بألقاب خاصة .

والرسالة الثانية عشرة خاصة بحظ بعض الأعداد - مثل عدد ٢٣ أغسطس وعدد ٦ بالنسبة الى بعض الاسر السكرية في مصر وفي فرنسا ، وعدد ١١ وعدد ٢ ديسمبر بالنسبة الى بعض الحوادث التاريخية .

والرسالة الثالثة عشرة فيها مقارنة بين جلاء الانجليز عن مصر وجلاء الانجليز عن فرنسا بعد سقوط نابليون وجلاء الانجليز عن ثغر كاليه Calais في زمن ماري تودور ملكة إنجلترا .

والرسالة الرابعة عشرة خاصة بتماقت الأجانب في هذا الزمن على طلب التجنس بالجنسية المصرية بعد ان كان المصريون من ٨٠ سنة يتهاقون على طلب التجنس بالجنسية الأجنبية .

والرسالة الخامسة عشرة وصف المزرعة المالكية في انشاص .

عزيز زمانكي

خاطر التاريخ

١

١ - قال دولة السيد مزاحم الباجه جى رئيس وزراء العراق لندوب الاهرام بعد انتهاء اللجنة السياسية من احدى جلساتها (أرجو أن تتلاقى قريباً جداً في تل أبيب) ولولا تدخل الدول الغربية وضغطها على الدول العربية لا كنتسح الجيش العراقي العصابات الصهيونية اكتساحاً ولكانت تل أبيب في خبر كاد أن لم تكن في خبر كان ولتحقق قول رئيس وزراء العراق .

وتنبؤ رئيس وزارة العراق يذكرني بخمس سوابق تاريخية :

الاولى - حدثت في غروب يوم ٢٣ يونيه سنة ١٨٣٩ . ذلك انه قبل تلاحم الجيش المصري بقيادة البطل ابراهيم باشا والجيش العثماني بقيادة حافظ باشا سر عسكر في موقعة « نزيب » المشهورة في يوم ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ دعا سليمان باشا الفرنساوى رئيس أركان حرب الجيش المصري كبار الضباط الى خيمته وبعد ما زودهم بالأوامر والنصائح والارشادات قال لهم (أذن الى اللقاء في الغد الساعة الثالثة بعد الظهر في خيمة حافظ باشا . أدعوكم من الآن لتناول القهوة معا) . وقد كان . أذ انه بعدما انتصر الجيش المصري اجتمع الكل في خيمة حافظ باشا ومنها أرسل البطل ابراهيم باشا الى على بك برهان خازنده في مصر يبشّره بالنصر ويقول له (قد كتبت اليك هذه الكلمات وأنا في خيمة حافظ باشا سر عسكر الجيش العثماني وقد وجدتها كما تركها حافظ باشا تماماً)

الثانية - لما استفحل الخلاف بين السلطان محمود ومحمد علي باشا على أثر استيلاء الجيش المصري على ثغرى يافا وحيفا أراد السلطان إثارة الرأي العام ضد محمد علي باشا فألف مجلساً كان مفتي الاستانة من أعضائه . أعلن المجلس في ٢٣ ابريل سنة ١٨٣١

تمرد محمد علي وقرر عزله من الولاية على القطر المصري وتعيين حسين باشا سرداراً ووالياً على مصر وجزيرة كريد والحبشة . وحسين باشا هذا كان (حالاً) ثم انضم الى الانكشارية وأخذ يكيد ويدس الى ان انتخبوه زعيماً إلا أن السلطان استماله وعهد إليه أمر الفتك بالانكشارية (كما فعل محمد علي باشا بالماليك) فجمعهم في « آت ميدان » Hippodrome باستانبول وفتك بهم ولم يذر منهم أحداً . والرجل مغرور جداً . قيل له في أثناء زحفه على مصر « أن حصانه اقتطع عن شرب الماء » فأجاب بكل وقاحة « أن حصانه آلى على نفسه أن لا يشرب إلا من مياه النيل » .
إلا أن الله خيب أمله وهزمه الجيش المصري في بيلان في ٣٠ يولييه سنة ١٨٣٢ .

الثالثة - لما طلب محمد علي باشا الكبير من والى عكا عبد الله باشا إعادة الستة آلاف فلاح الذين كانوا هاجروا من مصر وآواهم والى عكا عنده أجابه والى عكا « ان المصريين هم عبيد السلطان شأنهم عندي ك شأنهم عندك فان شئت أخذهم فاستصدر أمراً من السلطان وأنا أردتهم اليك » فاغتاز محمد علي باشا من هذا الجواب الحشن وأرسل اليه يقول : « سأحضر لأخذ الستة آلاف (وواحداً زيادة) » . ويقصد بالواحد الزيادة عبد الله باشا نفسه . وقد صدق في قوله إذ وقع عبد الله باشا أسيراً في قبضة ابراهيم باشا وأرسله الى والده محمد علي باشا الكبير .

الرابعة - وفي معركة واترلو Waterloo عندما رجحت كفة نابليون وكاد يسحق جيش ولنجتون قائد الجيش الانجليزى التفت نابليون الى أحد القواد الفرنسيين وقال له (سنبت اليوم في بروكسل) عاصمة بلجيكا . إلا أن الله خيب ظنه إذ ظهر في ساحة الوغى الجيش البروسى تحت قيادة الجنرال بلوخر وبانضمامه الى الجيش الانجليزى رجحت كفة الحرب للحليفتين وانتهت المعركة بانكسار نابليون وانهيأ عرشه وأمبراطوريته .

الخامسة - حدثت في خلال سنة ١٨٩٩ في عهد الملكة فيكتوريا عندما أعنت انجلترا الحرب على جمهورية الترانسفال وسيّرت جيشاً تحت قيادة الجنرال بولر لاختضاع البوير سكان الترانسفال وكلمة « البوير » معناها « الفلاحين » . فوهم بولر ومن لفّ

لفه أنه يمكنه اخضاع « فلاحى » الترنسفال فى بضعة أشهر وبنفقة لا تزيد على خمسة ملايين من الجنيهات ورسخ هذا الوهم فى عقول الانجليز حتى أنهم وصفوا الحملة بأنها « نزهة عسكرية » .

ولوئوق الجنرال بولر بالنصر السريع وصى صديقاً له فى لندن بأن يرسل إليه بضعة صناديق شمبانيا وويسكى بعنوانه فى (بريتوريا عاصمة الترنسفال) على أن تصل إليه قبل عيد الميلاد فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ليحتفل بالعيدين : عيد النصر وعيد الميلاد . إلا أن الله خيب ظنه ونصر البوير على الانجليز فى عدة وقائع . ولما رأت انجلترا ان الحرب طالت أقالت الجنرال بولر وجيشت جيشاً لجبا أرسلته تحت قيادة لورد روبرتس بصفته القائد العام ولورد كتشنر بصفته رئيس أركان حرب ، وكان البوير ٢٠.٠٠٠ والانجليز ٢٠٠.٠٠٠ وبعد سنتين ونصف استسلم البوير ولكن بعد ما خسر الانجليز ٢١.٠٠٠ قتيل و ٢٠.٠٠٠ جريح وبعدها أنفقت انجلترا ٢٥٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه علاوة على ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه دفعتها تعويضات للأهالى .

٢ - كان هذا فى يوم ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ عندما اشتبك الجيش الفرنساوى بقيادة نابليون بجيش انجلترا بقيادة ولنجتون فى واترلو (بلجيكا) وكاد النصر يبتسم لنابليون لولا وصول جيش بروسيا بقيادة الجنرال بلوخرالذى انضم الى الجيش الانجليزى وانتهت المعركة بهزيمة نابليون هزيمة دقت فى نغش امبراطورية المسار الأخير . انهارت امبراطوريته الضخمة فى بضع ساعات بعدما شاهدها فى خمس عشرة سنة انتصر فيها على دول اوربا فى ٤٠ معركة . ولعل معركة واترلو أعظم معركة غيرت التاريخ وقلبت وجه الأرض . تناقلتها السنة المؤرخين وأسنة أقلامهم جيلا بعد جيل وسوف تناوُلها ألسنتهم وتداولها أفلامهم الى يوم الدين .

لما لم يبق شك فى ثبوت الغلبة للانجليز أحرق الجيش الانجليزى باحدى فرق (الحرس) الفرنساوية وكانت على آخر رمق من الجهد فطلب القائد الانجليزى من القائد الفرنساوى لفرقة (الحرس) التسليم . ومعنى التسليم هنا البقاء أو الفناء .

فأجابه الجنرال الفرنساوى كامبرون (Cambronne قائد الحرس) الفرنساوى بكلمته الرائعة الخالدة (الحرس يفضل الموت على التسليم) La garde meurt et ne se rend pas وستبقى هذه الكلمة بمعنيها الحقيقى والمجازى مكتوبة فى سجل الخلود الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولهذه الكلمة الخالدة التى نطق بها قائد فرنساوى فى سنة ١٨١٥ سابقة تاريخية نطق بها قائد تركى فى سنة ١٨٣٩ . ذلك انه لما التحم جيش محمد على باشا الكبير بجيش السلطان محمود فى وقعة « نزيب » المشهورة فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ أهدقت قوة مصرية كبيرة بالآلى من آلايات (الحرس) السلطانى وضيق عليه الخناق حتى لم يبق للآلى التركى أمل فى النجاة : اما الحياة بالاستسلام بلا قتال أو الموت باستمرار الطعن والنزال . رأى قائد القوة المصرية حقنا للدماء أن يعرض على قائد الآلى التركى التسليم فأجابه البطل التركى بمثل ما أجاب البطل الفرنساوى من قبل (عساكر شاهانه مما تنده دخی توفنکنی بره قویماز) ومعناها (ان العساكر السلطانية يموتون ولا يسلمون) .

فكان جواب سنة ١٨٣٩ مثل جواب سنة ١٨١٥ رائعاً خالداً^(١) .

(١) كتبنا هذه الكلمة فى « الاهرام » عدد ٣٠ يوليه سنة ١٩٤٨

١- بسط نابليون سلطانه على ممالك ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وبلجيكا وهولنده وقهر امبراطور النمسا وقصر روسيا وملك بروسيا وامتدت فتوحاته من أقصى أوروبا شرقاً إلى أقصاها غرباً ومن أقصاها جنوباً إلى أقصاها شمالاً . دوّخ إنجلترا وزلزل عرشها وكان كبير وزرائها في ذلك العهد وليم بيت Pitt عدو نابليون غرة ١٠ . فألب دول أوروبا عليه وأمدّها بالمال والرجال والعتاد وانفق في سبيل ذلك ٨٠٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه ذهباً وهاجاً فاضطربت ماليتها وتصدّعت هيبتها . وبينما الناس يلغطون في مستقبل إنجلترا هبطاً أو غبطاً اشرب وليم بيت وخطب فقال : (لا يساورني أدنى خوف على مستقبل إنجلترا . سبق إنجلترا ثابتة على قدميها قابضة على صولجان البر والبحر إلى يوم القيامة) ودار الفلك وإذا صولجان البحر يطير من يدها ويستقر في أمريكا . وصولجان البر يطير من يدها ويستقر في روسيا .

٢- ولما فاز نابليون بمبايعته امبراطوراً على فرنسا قال في أول ديسمبر سنة ١٨٠٤ (سوف تحتفظ ذريتي بهذا العرش أمداً مديداً) ^(١) .

ودار الفلك وبعد عشر سنوات هزمه الحلفاء في واقعة لايبسج Leipzig بألمانيا واكره على التنازل عن العرش .

٣- بعد أن توج نابليون امبراطوراً على فرنسا كتب في مذكراته بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٠٥ (بعدما وضعت التاج على رأسي قلت ان الله أعطاني هذا التاج فيا ويل من يجرؤ على مسه . عسى أن يكون قولي هذا نبوءة) . قال هذا في سنة ١٨٠٥

ودار الفلك وبعد عشر سنوات سقط التاج وانهارت امبراطورية نابليون ٤- وفي سبتمبر سنة ١٩٣٩ غزا هتلر بولونيا ثم احتل ثغر دانزج (الذي كان سبب نشوب الحرب العالمية الأخيرة) وبعد ما ثبت هتلر قدميه في دانزج خطب في جمع حافل بمائة ألف شخص وقال (اعلن ضم دانزج إلى ألمانيا . دخلناها واحتلناها وسنبقي فيها ألف سنة) .

“Mes descendants conserveront longtemps ce trône”

ودار الفلك ومرت خمس سنوات وإذا الروس يطردون هتلر وجيوشه من بولونيا ومن داننرج والحلفاء يطردون الألمان من ألمانيا .

٥ - لما وصل الجنرال روميل الألماني الى العلمين في أواخر اكتوبر سنة ١٩٤٢ وضع منظاره الحربى على عينيه وقال (سأمتع أنظارى بمراى القاهرة من أعلى الأهرام ومن خلال هذا المنظار) .

ودار الفلك وإذا روميل ينهزم شره هزيمة فى العلمين ويتقهقر الجيش الألمانى ٢٠٠٠ كيلو متر من العلمين الى برقة الى تونس وينقلب روميل من أفريقيا الى اورو با ثم يموت - متحرراً أو مقتولا - ويقع منظاره فى يد عربى فيهديه الى القائد فوزى باشا القاوقجى .

٦ - وبعد حرب السبعين وانتزاع الألمان مقاطعتى الالزاس واللورين من فرنسا خطب الماريشال مولتكي Moltke فى البرلمان الألمانى وقال ان ما أخذناه بحد السيف فى ستة أشهر سنحتفظ به الى يوم الدين ولو كلفنا خمسين سنة حتى لا يجرؤ أحد على انتزاعها منا :

“Ce que nous avons obtenu en six mois par la force des armes nous aurons à le défendre pendant un demi siècle par les armes afin que nul ne puisse nous l'arracher..”

ودار الفلك وجاءت حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ واستردت فرنسا الالزاس واللورين ولا تزال محتفظة بهما الى اليوم

٧ - وفى ٤ مايو سنة ١٩٠٧ خطب لورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر فى دار الأوبرا ودَّع بها مصر والمصريين وقد قال فى خطبته من ضمن ما قال متعجرفاً متغطرساً (ان الاحتلال البريطانى فى مصر سيدوم الى ما شاء الله . وقد قالت لنا حكومة جلالة الملك ذلك رسمياً) .

ودار الزمن دورته - وما أسرع دورة الزمن - وإذا مصر تعلن فى سنة ١٩٢٢ استقلالها. وتعلن فى سنة ١٩٣٦ الغاء الامتيازات الأجنبية. ويجلوا الانجليز عن مصر فى سنة ١٩٤٧ ويتلاشى الاحتلال الذى أكد لورد كرومر « أنه سيدوم الى ما شاء الله » !

٨ - لما استولى ابراهيم باشا على قلعة عكا الحصينة حضر الوجهاء والعظماء انتهته على هذا الفتح العظيم فقال لهم ابراهيم (سأذهب في فتوحاتي إلى حيث تنتهي البلاد التي يتكلم أهلها اللغة العربية) وقد صدق فيما وعد

٩ - وفي سنة ١٩٣٩ اجتاحت جيوش هتلر أرض فرنسا وشردت جيوشها شذر مذر واحتلت باريس وأعلن هتلر ضم مقاطعتي الألزاس واللورين إلى ألمانيا وبسط سلطانه على جميع مقاطعات فرنسا الشمالية . ولما خارت قوى فرنسا ألقت سلاحها وأسلمت أمرها إلى الله . انتهزت إيطاليا فرصة انهيار فرنسا وسقوطها صرعى مضرجة بدماء أبنائها وطعننها من الخلف وزحفت على مقاطعاتها الجنوبية المتاخمة لها واحتلتها ولما تكثف بذلك بل طمعت وطلبت ضم تونس (حماية فرنسا) وجزيرة كورسكا (مسقط رأس نابليون) والسافواي بما فيها مدينة نيس الجميلة (وهي مقاطعة من مقاطعات فرنسا) . وقام فارينتشى الصحفى الايطالى المشهور ساعد موسوليني الأمين وزعيم الفاشست نمرة ٢ وعدو فرنسا نمرة ١ وكتب مقالة من قارونار وجهها إلى الفرنسيين قال لهم فيها (والآن أيها الانذال خروا للأذقان سجداً أمامنا . ستبقون ركعاً داخرين أبد الآبدين ودهر الدهارين) .

ودار الفلاك وبعد أربع سنوات - اربعة فقط - اعدم موسوليني زعيم إيطاليا نمرة ١ رمياً بالرصاص . واعدم الكونت شيانو زوج بنته رمياً بالرصاص . واعدم فارينتشى زعيم الفاشست نمرة ٢ رمياً بالرصاص . وسقط العرش وانهارت الامبراطورية الإيطالية واحتلت جيوش الحلفاء إيطاليا من أقصاها شمالاً إلى أقصاها جنوباً وطردت إيطاليا من بلاد الحبشة ومن البانيا ومن ليبيا ومن اريتريا ومن الصومال . فكان مثل إيطاليا كمثل النعامه ذهبت تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين .

١٠ - وفي ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أعلنت شرذمة من الصهيونيين قيام دولة اسرائيل وسرعان ما اعترف بها ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية واذا موسى شرتوك أحد زعماء الصهيونيين يعلن من تل أبيب بأن (دولة اسرائيل قامت وستقوم إلى يوم الساعة) .

ودار الفلك وفي ثلاثة أسابيع طوّقها العربي ضراب السيوف وشراب
الحتوف . وإذا تلّ أيّيب التي أرادوها قصوراً أرادها العربي قبوراً . وإذا اسرافيل
ينادي عزرائيل ان اطرد بني اسرائيل : (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم
الخروج) .

صدق ابن سينا عندما قال وتقدرّون فتضحك الأقدار
قلنا كل هذا لصهيوني فصهين !!! (١)

١ - مدّ صهيوني يده الى عربي يريد مصالحته فرفض العربي أن يضع يده في يد الصهيوني .

يذكرني هذا الشم العربي بسابقة . ذلك انه تصادف وجود فيكتور هوجو شاعر فرنسا الأ كبر في فندق بسويسرا وكان الماريشال مولتكي الالماني - الذي قاد الجيوش الالمانية في الحرب التي نشبت بين فرنسا و المانيا في سنة ١٨٧٠ وانتهت بانتصار المانيا على فرنسا - نازلا في الفندق نفسه . فلما علم الماريشال الالماني بوجود الشاعر الفرنسي في الفندق حاول غير مرة أن يتعرف به فلم يوفق . انتهز وجود فيكتور هوجو في المطعم وأرسل اليه رسولا يقول له (الماريشال مولتكي موجود هنا ويسرّه أن يجتمع بك) فأجابه هوجو (قل لمسيو مولتكي بأنني أرفض مقابله) فكان ردّاً جمع الكثير من المعنى في قليل من اللفظ . وضرب هوجو برفضه هذا أروع الأمثال على أنبل الالباء والشم .

ذاع رفض هوجو مقابلة الماريشال وبعد بضعة أيام ترك مولتكي الفندق وهو يتلظى من شدة اغتياظه دون أن يشعر به أحد .

أسرّ مولتكي هذه الالهانة في نفسه الى أن حانت له فرصة في خلال سنة ١٨٧٥ - أي بعد أربع سنوات من انتهاء حرب سنة ١٨٧٠ - لاعلان الحرب على فرنسا ليسحقها سحقاً حتى لا تقوم لها قائمة أبداً ولا بعد الأبد ان كان بعده بعد ، إلا ان اسكندر الثاني قيصر روسيا وفيكتوريا ملكة انجلترا هددتا المانيا بدخول الحرب مناصرتين لفرنسا اذا نفذت فكرة مولتكي وبسارك . فرجعت .

ومع ان حدود المانيا تناخم حدود فرنسا وكان من الطبيعي أن تكونا جارتين صديقتين إلا أن العداة الذي كان مستحكما باعد بينهما وجعل التخوم أبعد ما بين قطب الشمال من قطب الجنوب . بقي العداة بين فرنسا و المانيا يطرد في الزيادة كل واحدة تدعو الله أن يزيل زوال الأخرى . ثم دار الزمن دورته واذا عجاج الحرب

يُشور بينهما في سنة ١٩١٤ فتشار فرنسا من المانيا وتسترد مقاطعتي الألزاس واللورين .
والماريشال مولتكي هذا الدائم في الاصل ولما بلغ سن الثمان عشرة تجنس بالجنسية
الالمانية . حذق الفنون الحربية ومهر فيها وعرف غوامضها ودقائقها وذاع صيته في
أوروبا . ولما سمع به السلطان محمود الثاني استقدمه واستخدمه - وكان عمره ٤٠ سنة -
لمحاربة جيوش محمد علي الكبير التي كانت تحت قيادة ابنه البطل ابراهيم وانتصر على
جيوش السلطان في فلسطين وفي سوريا وفي الاناضول . فكان مولتكي الالماني رئيس
أركان حرب السر عسكر حافظ باشا القائد العام لجيوش السلطان محمود كما كان
الكولونيل سيف الفرنسي رئيس أركان حرب جيش محمد علي باشا . وعلى الرغم مما
وضعه مولتكي من خطط حربية محكمة وما بذله من نصيح وارشاد فان ابراهيم باشا
انتصر على جيوش السلطان انتصاراً باهراً في واقعة « نزيب » المشهورة في ٢٤ يونيه
سنة ١٨٣٩ .

ومن غريب أمر مولتكي انه وهو جنرال الماني حارب الدائمك - وطنه الاصل -
في خلال سنة ١٨٦٤ ولما انتصر انتزع من بلاده الاصلية مقاطعتين هما شليزج
وهولشتاين وضمهما الى بروسيا عدوة بلاده .

وقع اعرابي من أهل العراق أسيراً وكان من أئمة البغاء فلما مثل أمام
الحجاج سأله عن أهل العراق فقال أعلم الناس بحق وباطل . قال فأهل الشام . قال
أطوع الناس لحلقائهم . قال وأهل فارس . فقال أهل بأس شديد وشر عتيد . قال
فأهل مصر . قال « عبيد من غلب » . هذا ما كان في زمن الحجاج .

وفي زمن سلاطين آل عثمان كان أهل مصر وفلسطين وسوريا والعراق وشرق
الأردن واليمن والحجاز خضوعاً للسلطان وكان السلطان اذا كتب لوالى مصر
يقول عن أهل مصر (عبيد بابنا العالى) ألا ترى انه لما شكى محمد علي باشا الى السلطان
من رفض والى عكا اعادة الستة آلاف فلاح مصرى الذين خرجوا من مصر وآواهم
عبد الله باشا والى عكا أجابه السلطان « ان الفلاحين المصريين هم عبيد بابنا العالى
لا عبيدك . لهم حرية الاقامة حيث يريدون »

ودارت عجلة الزمان . . . واذا مصر الآن في طليعة الطليعة بين البلاد العربية وقطب ربحى بلاد الشرق كلها. لها جيش برى واسطول بحرى واسطول جوى . ولها سفارات ومفوضيات فى جميع عواصم بلاد اوروبا وآسيا وامريكا - تخطب ودّها انجلترا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا وغيرها من ممالك وجمهوريات العالمين القديم والحديث . واذا ما خاطب امبراطور أو ملك أو رئيس جلالة ملك مصر قال « أخى فاروق » .

حقاً ان الدهر قلب (١) .

لا أدري من هو ذلك المؤرخ الذى خلع على محمد على باشا الكبير لقب « فرعون العصر الحديث »

انى أميل الى الاعتقاد بأن ذلك المؤرخ كان يقصد تشبيه محمد على بتحوتس الثالث فرعون مصر . ألم يطلق بعض المؤرخين على محمد على لقب « نابليون الشرق » كما أطلقوا على تحوتس الثالث لقب « نابليون المصرى »^(١) .

واعلمهم لقبوا تحوتس الثالث ومحمد على باشا بلقب (نابليون) لأن سياستهما الحربية كانت تدور حول النظريتين اللتين اشتهر بهما نابليون عندما كان ينوى محاربة عدوه ، وهما السرعة والمفاجأة . لا يمهل عدوه حتى يستعد ويجئ إليه ، بل يسرع هو بتجهيز جيشه بسرعة البرق ، ثم ينقض كالصاعقة على جيش عدوه فيسحقه سحقاً قبل أن يستعد

حدث أن ملك الميتانى (شرقي الفرات) وملك قادش اللذين كانا رابضين فى أحضان النهرين (دجلة والفرات) وأمرأى بلاد زاهى (غربى الشام) حرضوا أهالى فلسطين على الثورة ورفع لواء العصيان . فما كاد هذا النبأ يتصل بتحوتس حتى قرر تأديب الملوك والأمرأى والشعوب الذين شقوا عصا الطاعة . أسرع وجهاز جيشاً كبيراً فى ثلاثة أشهر زحف به من مدينة ثارو (القنطرة) فوصل إلى غزة فى تسعة أيام قطع فى خلالها ١٦ ميلاً . وعلى الرغم من اتفاق وصوله إلى غزة يوم عيد تنويجه - لمناسبة مرور ٢٢ سنة على استوائه على العرش - لم يعبأ بالاحتفالات التى أقيمت له وواصل سيره بسرعة البرق إلى أن وصل إلى جبل السكرمل فوجد الحلفاء قد احتلوا « مجدو » وكانت قلعة حصينة هى مفتاح لبنان وبلاد الفرات فدك حصونها واحتلها وهزم أعداءه قبل أن يستعدوا للقتال . ويقول الخبىرون ان الاستيلاء على « مجدو » كان يعدل الاستيلاء على ألف مدينة .

(١) كما سماه سسل رود « نابليون افريقيا الجنوبية » ، وسماه انور باشا « نابليون الصغير »

وهكذا كان يفعل نابليون ومحمد علي في حروبهما التي اشتهرت في التاريخ بأنها « حروب خاطفة »

ألم يتحرك جيش محمد علي من مصر في ١٤ أكتوبر سنة ١٨٣١ وفي ٨ نوفمبر احتل يافا . وفي ١٣ نوفمبر احتل حيفا . وفي ٥ ابريل احتل طرابلس . وفي ١٤ ابريل احتل سهل الزراعة . وفي ٢٧ مايو احتل عكا . وفي ١٣ يونيو سنة ١٨٣٢ احتل دمشق . وفي ٨ يوليو احتل حمص . وفي ١٠ يوليو احتل حماه . وفي ١٤ يوليو احتل حلب . وفي ٣٠ يوليو احتل بلان . ثم احتل طرسوس فاطنه فقونيه ، ثم كوتاهيه فازمهر توال انتصارات جيش محمد علي بسرعة تدعو الى الدهش

هكذا كان يفعل نابليون . ألم يسحق جيوش النمسا وينتصر عليها في سبع وقائع في خمسة عشر يوماً ؟ ألم يبلغ عدد المعارك التي نازل فيها النمساويين في سنة وبضعة أشهر ٧٠ معركة ؟ ألم يقطع هو وجيشه المسافة بين بافاريا وعاصمة النمسا في ثلاثة أسابيع . ألم يهزم بلوخر القائد البروسي في ست وقائع خلال تسعة أيام ؟ ألم يقطع المسافة بين درسدن وباريس في خمسة أيام وعندما غزا فلسطين قطع ٧٠ كيلومتراً في ١٥ ساعة ؟

ألا تصدق على الجنود المصريين في عهد تحوتس الثالث فرعون مصر وعلى الجنود الفرنسيين في عهد نابليون وعلى الجنود المصريين في عهد محمد علي باشا كلمة قالها أمير أورانج Le prince d'Orange عندما فاجأه الماريشال دي لوكسمبورج Maréchal de Luxembourg - قائد الجيش الفرنسي في سنة ١٦٩٦ - قبل أن يستعد للقتال (كنت أعرف ان الفرنسيين له ذراع ولكن ما كنت أعرف أن له أجنحة) .

- ان تحوتس الثالث كان من أعظم فراعنة الأسرة الثامنة عشرة التي حكمت مصر مدة ٢٣٠ سنة من سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد الى سنة ١٢٤٠ . قبل تولى تحوتس حكم مصر ما كان للأمبراطورية وجود . وقبل تولى محمد علي حكم مصر ما كان للأمبراطورية المصرية وجود (كما وجدها محمد علي)

- وقبل تولى تحوتس الثالث - ومن عهد تحوتس الأول - ما كانت الجيوش

المصرية جاوزت حدود مصر . وقبل تولى محمد علي باشا حكم مصر ، ومن عهد على بك الكبير - ما كانت الجيوش المصرية جاوزت حدود مصر .

- تحوتس الثالث غزا بلاد النوبة وفلسطين وسوريا ووصل الى بلاد النهرين (دجلة والفرات) وخضع له ملك قبرص وضم الواحات الغربية الى الأمبراطورية المصرية . ومحمد علي غزا جزيرة العرب والسودان وفلسطين وسوريا والأناضول وجزيرة كريت وضم واحة سيوه الى مصر (بتجريدة تحت امرة حسن الشماشرجى فى سنة ١٨٢٠)

- قبل تولى تحوتس الثالث حكم مصر ، كان أمراء الولايات السورية وغير السورية قد انتهزوا ضعف الدولة المتبوعة (مصر) وتمردوا ورفضوا دفع الجزية . وقبل تولى محمد علي حكم مصر انتهز باشوات عكا وبغداد واشقودرا . ضعف الدولة المتبوعة (تركيا) ورفضوا دفع الجزية وثاروا على السلطان

- وغزوات وفتوحات تحوتس الثالث توالى متتابعة . سبع عشرة غزوة فى خلال تسع عشرة سنة . توجهوا بالنصر العظيم على أعدائه فى واقعة قرقيش على نهر الفرات ، ودوت انتصاراته فى آسيا فحملت ملوك وأمراء الحيثيين والأشوريين وغيرهم على كسب عطف فرعون مصر فأرسلوا إليه الرسل والهدايا الفاخرة عربوناً على ولائهم

ولم تقف سيادة مصر على البر ، بل بسط تحوتس سيادة مصر على البحر أيضاً . فالدول البحرية مثل قبرص وكريت وجزر بحر ايجه راعها قوة الأسطول المصرى فحسبت له ألف حساب وصارت مصر من الدول البحرية ذات الشأن . وما فعله تحوتس الثالث فعل مثله محمد علي باشا الكبير . فان جيوشه البرية وأساطيله البحرية زلزلت ثلاث قارات وغزواته وفتوحاته توالى متتابعة توجهها بانتصاره الكبير فى وقعة « نزيب » فارتفع شأن مصر فى البر والبحر ودانت له دول البر ودول البحر

- كان لتحوتس الثالث ابن هو امنحوتب الثانى إذا أشاروا اليه قالوا هذا الشبل من ذاك الأسد . ومحمد علي مثله كان ابنه ابراهيم إذا ذكروه قالوا هذا الشبل من ذلك الأسد

- عندما كان أعداء مصر يقعون أسرى كان تحوتس يعاملهم معاملة كريمة .

ومحمد على مثله كان يعامل أسراه معاملة كريمة (مثل معاملته لوالى عكا ولشريف مكة والصدر الأعظم رشيد باشا) .

- ومن المصادفات ان امنحوتب الثانى ابن تحوتس تولى حكم مصر فى حياة أبيه . و ابراهيم باشا ابن محمد على تولى حكم مصر فى حياة أبيه .

- سمي المؤرخون فرعون مصر تحوتس الكبير . كما سماوا اهل مصر محمد على الكبير .

- ومن أغرب المصادفات ان تحوتس الثالث توفى فى السنة (التاسعة والأربعين بعد الألف والاربعمائة قبل الميلاد) . ومحمد على توفى هو أيضاً فى السنة (التاسعة والأربعين) بعد الألف والثمانمائة بعد الميلاد

- وصف أحد المؤرخين تحوتس الثالث بوصف ينطبق عليه وعلى محمد على فقال : « كان هذا الفرعون ذا نشاط عجيب يفكر فى الليل ويعمل فى النهار بلا كل ولا مل . بينما كانت يميناه تسير جيوشه فى آسيا كانت يسراه تدبر أمور الدولة فى مصر . كانت عيناه كعيني الفهد . لها نظرات تخترق الحجب ^(١) . كان حكمه فذا فريداً لا مثيل له لا فى مصر وحدها بل فى الشرق كله . لم يكن تحوتس بطلاً مصرياً فحسب بل كان بطلاً عالمياً أيضاً . كان اسمه وهو حى يلقى الرعب فى النفوس وبعد موته بقى اسمه علماً على البطولة والعبقريّة العالمية . ولما مات رثاه أحد المؤرخين بقوله « بموته انتهى عهد أعظم ماهر استوى على عرش الفراعنة »

- وصفه مستر جى برينتون الانجليزى - أحد كبار علماء الآثار المصرية - فقال « انه كان أعظم شخصية استوقفت الأنظار بين سلسلة فراعنة مصر الطويلة ^(٢) » . ووصف مسيو هانوتو الفرنسى - أحد كبار المؤرخين - محمد على باشا بقوله « ان محمد على كان أعظم شخصية ظهرت فى الشرق من عدة قرون »

(١) وهو وصف ينطبق على الثلاثة :

“Comme un ragus aux cent yeux, il avait le regard partout”

(٢) “Thotmosès III is in many ways the most striking figure in the whole long list of the Pharaohs”

في سنة ١٩٣٤ احتفل بذكرى مرور ألف سنة على مولد الفردوسي صاحب ملحمة شاهنامه - ومعناها « كتاب الملوك » - التي بلغ عدد أبياتها ٦٠٠٠٠ وتضمنت تاريخ ملوك العجم من أول عهدهم الى أيام خسرو ابرويز . ولما قدمها واضعها الى السلطان محمود سبكتكين الفزنوي كافأه بستين ألف دينار أي بدينار عن كل بيت . ويسمون الشاهنامه « الياذة » الفرس لأنها جاءت على مثال « الياذة » هوميروس الشاعر الاغريقي المشهور . وقد بدأ الفردوسي ينظمها وهو في الخمسين من عمره وامضى في نظمها ثلاثين سنة فأتمها وهو في الثمانين . وولد الفردوسي في مدينة طوس (من بلاد العجم) وهو معروف بشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء

وفي ٢٢ مارس سنة ١٩٤٤ احتفل العالم العربي - بمصره ولبنانه وشامه وحجازه وعينه واردينه - بالعيد الألفى لأبي العلاء المعري الذي ولد في معرة النعمان وطبقت شهرته الافاق . وأتى « بما لم تستطعه الأوائل »

وتستعد ايران للاحتفال بمرور ١٠٠٠ عام على ميلاد ابن سينا الطبيب والأديب المشهور (١)

ومثلهما الشاعر سعدى الشيرازي الفارسي المشهور واحتفلت جامعة « براغ » عاصمة تشيكوسلوفاكيا بمرور ٦٠٠ سنة على تأسيسها واحتفلت جامعة « هايدلبرج » بالمانيا بذكرى مرور ٥٥٠ سنة على انشائها وفي سنة ١٩٣٤ احتفلت فرنسا بذكرى مرور ٣٠٠ سنة على تأسيس المجمع العلمي الفرنسي الذي أنشأه الكردينال ريشليو في سنة ١٦٣٥ في عهد لويس الثالث عشر ملك فرنسا

وفي سنة ١٩١٦ احتفل بذكرى مرور ٣٠٠ سنة على وفاة شكسبير أعظم شعراء انجلترا.

(١) ومن الغريب ان هذا العالم تتنازعه عدة دول . فروسيا تعدّه مواطناً . وتركيا تعدّه تركياً . حتى انها فكرت منذ سنوات في نقل رفاتة الى انقرة . والعرب يعدّونه عربياً صميمياً لأن مؤلفاته كتبت بلغة الضاد . والاقلان تنازع ايران عايه لانه ولد في بلدة بلخ الافغانية

في سنة ١٨٨٨ احتفل بذكرى مرور مائة سنة على تأسيس جريدة « التايمس »
الانجليزية التي أنشأها جون والتر في سنة ١٧٨٨

وفي شهر مارس سنة ١٩٠٤ أقامت فرنسا مهرجاناً لمناسبة مرور مائة سنة على
صدور القانون المدني الفرنسي الذي كان لنابليون فضل اصداره في سنة ١٨٠٤ وكان
يعده فخره الخالد . أليس هو القاتل ، وهو في منغاه في جزيرة سانت هيلانة : « ليس
فخري ومجدي بانتصاري في أربعين معركة . ان واترلو Waterloo سوف تمحو ذكرى
هذه الانتصارات ، أما الأثر الذي سيبقى لي خالداً أبداً فهو قانوني المدني » . وقد سمته
الحكومة الفرنسية « قانون نابليون » اعترافاً بفضله .

وفي ٢٥ مارس سنة ١٨٣٠ احتفلت اليونان بالعيد المئوي لاستقلالها . كما
احتفلت سويسرا بالعيد المئوي لاعلان دستورها في سنة ١٨٤٨ . كما احتفلت فرنسا
بذكرى مرور ١٠٠ سنة على ثورة سنة ١٨٤٨

ومنذ أسبوع مضى احتفل في فندق شبرد بالقاهرة بالعيد المئوي لاستقلال
بلاد المغرب .

واحتفلت مدينة شيكاغو الأمريكية بذكرى مرور مائة سنة على استقلالها (تنفيذاً
لقرار مؤتمر لندن) .

وستحتفل جمهورية تشيكوسلوفاكيا بعد سنتين بالعيد المئوي لمولد مازاريك
مؤسس دولة التشيكوسلوفاكية

وفي سنة ١٩٣٥ احتفل بذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاة فيكتور هوجو اذ توفي
في باريس سنة ١٨٨٥

وفي سنة ١٩٢٦ احتفلت محكمة الاستئناف المختلطة ورجال القضاء ورجال النيابة
ورجال المحاماة الأجانب في ثغر الاسكندرية بذكرى مرور ٥٠ سنة على انشاء المحاكم
المختلطة « العيد الذهبي »

وفي سنة ١٩٣٣ احتفلت الحكومة المصرية بذكرى مرور ٥٠ سنة على انشاء
المحاكم الأهلية فأقيمت حفلة كبرى في دار الأوبرا شرفها المغفور له جلالة الملك

فؤاد الأول وشهدها جميع رجال القضاء والنيابة . اما المحامون فقد احتفلوا بهذه الذكرى في فندق هليوبوليس وكانت حفلتهم من أغخم الحفلات

واحتفلت لبنان باليوبيل الذهبي للعلامة الشيخ ابراهيم المنذر تقديراً لأبائيه البيضاء على النهضة العلمية والأدبية في لبنان

وفي يوم ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٨ احتفلت الجمعية الزراعية المصرية الملكية - بعيدها الذهبي - أي بمرور ٥٠ سنة على انشائها

وفي ١١ مارس سنة ١٩٥٠ سيحتفل بذكرى مرور ٢٥ سنة على انشاء الجامعة المصرية « عيدها الفضي »

وفي سبتمبر سنة ١٩٤٨ احتفلت شركة ساينا للطيران البلجيكية بعيدها الفضي لمرور ٢٥ سنة على تأسيسها

وفي خلال شهر يناير سنة ١٩٤٨ احتفل بذكرى مرور عشرة أعوام على صدور مجلة « المستمع العربي » التي تنشرها هيئة الاذاعة البريطانية في مصر .

هذا ومهرجانات ذكرى مرور ألف سنة أو ٥٠٠ سنة أو ٣٠٠ سنة أو مئة سنة أو خمسين سنة أو خمس وعشرين سنة على تأسيس دولة (مثل جمهورية الولايات المتحدة) أو على استواء ملك عظيم على العرش ، مثل احتفال الانجليز بذكرى مرور ٥٠ سنة على اعتلاء الملكة فيكتوريا على عرش انجلترا . واحتفال اهالي هولاندا في ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ بالعيد الذهبي لمرور ٥٠ سنة على استواء الملكة ولهمينا على عرش هولاندا . أو عاهل عظيم مثل مبايعة محمد علي باشا راس العائلة المحمدية العلوية والياً على مصر . أو شاعر مفلق ، مثل الاحتفال بذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاة فيكتور هوجو أشعر شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر . أو عالم كبير ، مثل العالم باستور الذي احتفل في سنة ١٩٤٥ بذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاته . كما احتفل في شهر ابريل سنة ١٩٤٨ بذكرى وفاة « كلود ديوسي » الموسيقار المشهور . أو وقوع حادثة من الحوادث العظيمة التي غيرت وجه التاريخ مثل الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩ . أو انشاء معهد علمي عظيم ، مثل انشاء الجمعية الجغرافية المصرية في عهد الخديو اسماعيل .

أو انشاء المجمع العلمى المصرى الذى أسسه الجنرال بونابرت عند ماغزا مصر فى سنة ١٧٩٨ كل هذه المهرجانات تثير فى النفوس ذكريات عظيمة لها أثر فى حياة الشعوب وأول من فكر فى الاحتفال بالأعياد المثوية هو البابا بونيفاس الثامن . إذ أقام أول احتفال بالعيد المثوى سنة ١٣٠٠ ميلادية وفيها منح بركته الرسولية الى كل من يحج الى روما - عاصمة الكتلكة - ويزور جميع كنائسها . ولما خلفه فى كرسي البابوية البابا كليمان السادس جعل العيد كل ٥٠ سنة . ولما جاء من بعده البابا بولص جعلها كل ٢٥ سنة .

وفى أوروبا يحتفل الزوجان بالعيد الفضى اذا انقضت خمس وعشرون سنة على زواجهما . وبالعيد الذهبى اذا انقضت على زواجهما ٥٠ سنة وبالعيد الالماسى اذا انقضت ٧٥ سنة على زواجهما .

ومن أغرب المهرجانات التى احتفل فيها بذكرى مرور ٥٠ سنة على استواء ملك على العرش المهرجان الخمسينى للملك ادوارد الثالث ملك انجلترا ، إذ أنه توفي فى يوم الاحتفال نفسه .

واغرب منه الاحتفال بذكرى نشر مقالة « اميل زولا » الكاتب الفرنساوى الشهير وهى المقالة التى عنوانها « أنى أنهم » وفيها فضح قضاة المحكمة العسكرية التى حكمت على دريفوس بالنفى فى جزيرة الشيطان . وكان من أثر نشر هذه المقالة ان اعيدت محاكمة دريفوس وفيها ثبت تزوير الوثيقة التى بنى عليها حكم الادانة ، فالغى حكم الادانة وحكم ببراءته .

هذا وفى ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٣ نشرت فى جريدة « الاهرام » الغراء مقالة ذكرت فيها ان جوهر القائد ، شرع فى خلال شهر جمادى الأولى سنة ٣٥٩ من الهجرة فى بناء مدينة القاهرة وفى تأسيس الجامع الازهر . ووجهت نظر الحكومة المصرية الى وجوب الاحتفال بذكرى مرور ألف سنة على تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر .

وقد عقب المغفور له داود بك بركات على هذه المقالة بكلمة رائعة حبذ فيها

الفكرة وناشد الحكومة بتنفيذها . كما ان حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابورحاب من علماء الازهر أيد الفكرة بمقالة نشرها في ٢٥ يونيه سنة ١٩٣٣ جمعت بين الایجاز والاعجاز . وها قد مضت خمس عشرة سنة على ندائنا ونداء « الازهر » ونداء أحد علماء الازهر ولم تحتفل مصر بالعيد الألفی لتأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر . فهل ذهبت هذه الصیحات سدى ؟ . أيها أهم وأعظم أثرًا في حياة الشعوب ، تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر الذي سطعت أنواره في الشرق الاوسط والمغرب الاقصى والشرق الاقصى ألف سنة ، أم تأسيس جريدة أو مجلة أو محكمة أو مدينة أو مجمع أو نشر مقالة ؟

الكلمة الآن لأولى الأمر^(١).

(١) كتبنا هذه المقالة في الازهر « عدد » ٢٦ مارس سنة ١٩٤٨



ومما يسترعى النظر انها بنيت من غير اسمنت ومن غير خرسانة مع ان طولها ٢٦٩ متراً وتعلو عن سطح الأرض بثمانية وأربعين متراً . وقد وصف أحد المؤرخين هذه القنطرة فقال : « لا يوجد في الامبراطورية الرومانية أثر له روعة قنطرة الجارد Pont du Gard وجمالها » .

ساقنتى الى ذكر هذه السابقة التاريخية مناسبتان :

الأولى : مناسبة البحث القيم الذى كتبه حضرة الفاضل الاستاذ فؤاد فرج مدير الاعمال بادارة البلديات (حول مشروع جبل المقطم) و (عمليات مياه أثرية كانت تستعمل لرفع مياه النيل فوق جبل المقطم) تنقل هنا شطرين منه : الشطر التاريخي والشطر الفني

فقد روى في الشطر الاول ان : عمرأ بن العاص سأل المقوقس آخر حكام مصر المسيحيين ، ما بال جبلكم (يريد جبل المقطم) أقرع ليس فيه نبات ولا شجر ؟ فأجابه المقوقس : وجدنا في الكتب ان جبل المقطم كان أكثر الجبال شجراً ونباتاً وفاكهة وانه كان عامراً ويذهب اليه الناس وينزلونه

الى أن قال : « وقد أنشأ أحمد بن طولون في سنة ٨٧٢ ميلادية بياراً عميقة شمالي بركة الحبش وأقام فوقها قناطر وسواقي لها قواديس مدلاة ، وبني حائطاً لمجرى المياه . وكانت هذه البيارة تستمد مياهها من بركة الحبش أو من خليج بنى وائل . وكانت السواقي تستعمل لرفع مياه النيل فوق القناطر وتصبها في مجرى المياه ، وتدل جميع الظواهر الباقية الى الآن على ان هذه العملية كانت تستعمل في رى أراضي جبل الرصد وزراعتها وربما كان يمتد منها فرع آخر لتغذية جامع ابن طولون ومدينة ابن طولون التى أنشأها فوق جبل يشكر ، وهو عبارة عن بروز آخر من جبل المقطم . ولا تزال آثار عملية مياه ابن طولون وحائط مجرى المياه ماثلة الى الآن بقرب قرية البساتين . . . »

وانتهى حضرة الكاتب بأن قال : « ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير الى قناطر العيون بغم الخليج . وهي أيضاً عبارة عن عملية مياه أثرية كانت تستعمل لرفع مياه النيل فوق قلعة القاهرة ، وقد ظلت تقوم بعملها منذ انشائها في عهد صلاح الدين

الأيوبي الى أن أنشئت أول عملية مياه للقاهرة سنة ١٨٦٥ في عهد الخديو اسماعيل . تلك هى عمليات المياه الأثرية التى كانت تستعمل لرفع مياه النيل فوق بعض أجزاء جبل المقطم . فهل ترانا نوفق فى عصر الكهرباء لإنشاء عملية حديثة لرفع مياه النيل فوق جبل المقطم لرى مساحات واسعة لا تزال حتى الآن بوراً لا ينتفع بها ؟

أما المناسبة الثانية ، فهى التى كنت فى سنة ١٩٣١ أصيف فى لبنان وكان بين المصطافين أحد كبار المهندسين المصريين فسألته ألا يمكن الانتفاع بجبل المقطم وبالمساحة الواسعة المحيطة به ، ببناء فيلات وتشيد مساكن وإنشاء حدائق وغرس أشجار زيتون وكروم ونخيل ومزارع ومراع وما إليها ؟ فأجاب : هذا مستحيل لأنه لا توجد وسائل فنية هندسية نرفع بها مياه النيل الى السهول المرتفعة المحيطة بجبل المقطم ، وإذا وجد المهندس الذى يدلنا على وسيلة واحدة لرفع مياه النيل لرى هذه السهول المرتفعة أقننا له تمثالاً من الذهب

تواردت هذه الخواطر فى رأسى فقلت : ألا يحسن بالحكومة أن تؤلف لجنة من بعض كبار المهندسين المصريين والاجانب لدرس هذا المشروع ، حتى اذا اهتمدوا الى الطريقة التى بها يمكن رفع مياه النيل الى مستوى السهول المحيطة بجبل المقطم وقدروا تكاليفها ، فإما أن تقوم الحكومة بتنفيذ المشروع وإما أن تقوم شركة مصرية (مثل إحدى شركات بنك مصر) أو تقوم شركة مصرية أمريكية أو شركة مصرية إنجليزية أو شركة مصرية بلجيكية أو شركة مصرية فرنساوية ، بتنفيذ الفكرة فتشترى من الحكومة مساحة واسعة من هذه الاراضى وتقسمها وتشق فيها الشوارع والميادين ثم تبيعها للاهالى وهم يقيمون بها فيلات ومنازل وعمارات وينشئون فيها الحدائق ويغرسون الغراس ويزرعون المراعى والمزارع للخضرة والفواكه وما إليها على مثال ما عمل البارون امبان وباغوص باشا نوبار . وبذلك نضيف الى المدن المصرية مدينة جديدة ، ولا سيما فى هذا الزمن زمن أزمة المساكن الذى بلغ فيه سكان مدينة القاهرة وحدها مليونى نفس (مع ان عدد سكان القطر المصرى كله كان فى سنة ١٨٠٠ لا يزيد على مليونين وخمسمائة الف . ومعنى هذا ان عدد سكان مدينة

القاهرة وحدها سيزيد بعد خمس أو ست سنوات على عدد سكان القطر المصري من ١٥٠ سنة)

إذا جاز هذا في عهد الامبراطور اغسطس من ٢٠٠٠ سنة و جاز في عهد المقوقس من ١٣٦٧ سنة و جاز في عهد صلاح الدين الأيوبي من ١١٦٧ سنة و جاز في عهد ابن طولون من ٨٧٢ سنة أفلا يجوز في القرن العشرين وهو عصر العجائب والغرائب والمعجزات (١)

- (١) نشرنا هذه الكلمة في جريدة « الاهرام » عدد ١٨ اغسطس سنة ١٩٤٨ . وفي ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ نشرت « الاهرام » الكلمة الآتية تحت عنوان « مدينة المقطم »
- « انير في المؤتمرات الهندسية التي عقدت اخيراً ، مشروع إنشاء مدينة فوق جبل المقطم . ولما كان اخراج هذا المشروع الى حيز التنفيذ موقوفاً على رفع المياه الى الجبل وتقدير النفقات الخاصة بذلك ، رأى بعض كبار المهندسين دراسة موضوع هذه النفقات تمهيداً لتقديرها . »
- (٢) ثم نشرت جريدة « الزمان » تحت عنوان (تميمير جبل المقطم) ما يأتي :
- « تدرس وزارة الاشغال بالاشتراك مع مصلحة الري في الوقت الحاضر مشروعاً يرمى الى زراعة عشرة آلاف فدان على جبل المقطم وذلك بتوصيل الماء اليها بواسطة المضخات . »
- « وقد تلقت وزارة التجارة والصناعة عدة طلبات من الشركات والافراد يطلبون اليها منحهم استغلال بعض هذه الافدنة لانشاء فنادق ونوادي ودور للهو لزيادة تميمير هذه المنطقة . »
- « وقد اشترطت هذه الشركات أن تقوم الحكومة بتمهيد الطريق ال جبل المقطم وكذلك توصيل المرافق العامة به بأن تمد اليه المجارى وأنابيب المياه والنور »
- « وتقوم وزارة التجارة والصناعة في الوقت الحاضر بدراسة هذه الطلبات من الناحية السياحية »
- وفي ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ علق على مقالتنا حضرة الاستاذ الفاضل حسن بك عبد الوهاب مفتش الآثار العربية في جريدة الاهرام بالكلمة الآتية تحت عنوان (مدينة المرصد) :
- « كثر الحديث في هذه الايام حول انشاء مدينة فوق جبل المقطم للانتفاع بجمال موقعه وجوده هوائه ، وتخفيف الضغط عن القاهرة ، وهي فكرة جلية نرجوها التحقيق وتذليل عقباتها المتشعبة »
- « على انني لهذه المناسبة ألفت الانظار الى موقع جميل صحى آخر يمتاز بسهولة الوصول اليه وسهولة تزويده بالماء والنور وأعني به منطقة المرصد الممتدة من دار السلام الى ما بعد أثر النبي في طريق المعادى وهي المعروفة الآن باستطبل عنتر . »
- « انها منطقة مرتفعة صخرية ، تمتد في مساحات منبسطة ، وهناك طرق عدة توصل اليها من دار السلام . وشارع الفسفاط وشارع أثر النبي . ومن طريق البساتين . ثم هي واقعة على جبل ، وتشرف من بعد على جبل ، كما انها تشرف على بساتين بركة الحبش »
- « ونتمنى لهذه المنطقة التي انشأ بها مرصد فلدى أخيراً من أجل متنزهات القاهرة وكثيراً ما قصد اليها السراة والادباء في الليالي القمرية ومواسم الصيف . »
- « وما يؤثر عن المعز بلدين الله الخليفة الفاطمي انه حين جاء الى القاهرة بعد أن بناها له قائده

كتب الكاتب الأمريكى سنكلر قصة خيالية عن عالم روسى اخترع حبة تعيد الحياة الى الميت . ثم مات العالم الروسى قبل أن يكشف عن سر الاختراع .
ودخل صحفى أمريكى الى معمله فوجد زجاجة بها خمس حبات من الدواء العجيب . فغار الصحفى فيمن هم الخمسة الذين أراد العالم الروسى أن يرد اليهم الحياة؟
وفى هذا المقال كتبت فى صحيفة « آخر ساعة » عن الخمسة الذين أريد أن أرد اليهم الحياة .

الخمسة الذين أريد ردهم الى الحياة هم :

سيدنا آدم :

- لأنه « أبو البشر » .
- وقد خلقه الله من طين .
- وهو أول من أخرج من ضلعه امرأة .
- وأول من سكن الفردوس .

جوهر الصقلى ، لم يعجبه موقعها ، وقال له بعد أن رأى ذلك الموقع ، كان ينبغي عمارة القاهرة بهذا الجبل ولم يغفل المغفور له محمد على باشا الكبير أهمية هذا الموقع فشيده فيه طواحين الهواء الباقية حتى الآن . كما انشئت القصور والمساجد والحدائق فى شرقها وشمالها مكان القرافة الكبرى التى كانت هناك وقد اقتتن بجمال هذه المنطقة ادباء مصر وشعراؤها ولعل خير وصف لها ذلك الذى وصفها به أمير مصر بن عيسى اذ خرج اليها يوماً فقال لمن حوله : « أتأملون الذى أرى ؟ » قالوا : ما الذى يرى الأمير ؟ قال : أرى ميدان رهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل ، وجبانة أموات ، ونهراً عجائبا ، وأرض زرع ، ومراعى ماشية ، ومرتع خيل ، وساحل بحر ، وصائد نهر ، وقناص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى ابل ، ومفازة رمل ، وسهلا وجبلا . فهذه ثمانية عشر منبرها فى أقل من ميل فى ميل »

وفى وصف هذه المنطقة يقول ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي :
يا ترهه المرصد المصرى قد جمعت من كل شىء حلا فى جانب الوادى
فذا غدير ، وذا روض وذا جبل والضب والنون والملاح والحادى
قال المفكرين فى مدينة المقطم أوجه كلتى ولهم بعد ذلك المقارنة والاختيار .

- وأكل من شجرة الخلد وعصى ربه فغوى .
أريد أن أستعيده من دار البقاء الى دار الفناء لأسأله عن الله جل جلاله كما رآه .
وعن السموات السبع كما رآها . وعن الملائكة والشياطين ، لا لأثنى لا أومن بوجود
الله ووجود السموات ووجود الملائكة والشياطين (ولكن ليطمئن قلبي)
سيدنا نوح :

- لأنه أول من تضرع الى الله لينقذه وآله من الطوفان واستجاب الله دعاءه .
- أريد أن أراه ليحدثني عن الطوفان وكيف بدأ وكيف انتهى . ثم
أخذه من يده وأطوف به في أنحاء القارات الخمس وأنظر الى الأثر الذي يتركه في
نفسه اذا ما رأى الأرض تدور حول الشمس ورأى القمر يدور حول الأرض ورأى
الشمس تشرق من المشرق وتغرب في المغرب .
- وأسأله أن يحدثنا عما كانت عليه الأرض من آلاف السنين وماهى عليه الآن .

سيدنا موسى :

- أريد أن أراه لأنه ولد في منفيس عاصمة مصر القديمة فهو اذن مصرى من
مواطنينا .
- أريد أن أسأله كيف التقطته بنت فرعون مصر من النيل وهو فى التابوت .
- وكيف كلمه الله فى طور سينا .
- ولأنه هو أول زعيم قاد شعباً . وحرر شعباً . وشرع الله له شرعاً .
- وأرجو منه أن يحدثني عن بنى اسرائيل وكيف هاجروا من مصر الى صحراء سيناء .
وكيف ضرب لبنى اسرائيل طريقاً فى البحر ييساً . وكيف تبعه فرعون بجنوده
فغشيهم من اليم ما غشيهم . وكيف أنزل عليهم المن والسلوى . وكيف ألقى
عصاه فاذا هى حية تسعى . وأسأله عن الوادى المقدس . وعن الطور الأيمن .
وعن جنات عدن وعن ابراهيم واسرائيل واسحق ويعقوب واسماعيل وادريس
وعن أخيه هارون . وعما جرى فى القرون الأولى .
- وأسأله عن حالة مصر وحال المصريين فى أيام أمينوفيس فرعون مصر أو
منفتاح الذى استوى على عرش مصر بعد رمسيس الثالث ويحدثنا عن أرض

كنعان كما كانت وكما رآها وفيها مات وفيها دفن . ثم يقص علينا من أنباء
ما قد سبق .

سيدنا يسوع المسيح :

- هل هو رب كما يقول النصارى ؟ .
- هل هو نبي كما يقول المسلمون وكما يقول بعض النصارى .
- هل هو بشر مثلي ومثلك كما يقول الفلاسفة الذين لا يعتقدون برؤسيتهم ولا
نبوتهم . ويقولون انه بشر بلغ أسمى ذروة من المجد الانساني كما يقول رينان
الفيلسوف الفرنسي .
- أو هو اسم علي غير مسمى كما يذهب البعض .
- سر من الأسرار . . . لغز من الألغاز . فإذا ما مثل أمامنا كشف لنا المعميات
التي تحيط بهويته .

- أسأله عن معجزاته : كيف كلم الناس في المهد صبيًا . وكيف علمه الله الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل . وكيف أبرأ الأكمه - والأكمه هو الذي ولد أعمى -
والابصر وأحيا الموتى . وكيف رد السمع الى الصم . وكيف أمر العواصف فسكنت .
وكيف طرد الشياطين . وكيف غفر للمذنبين خطاياهم . وكيف صلب . وهل صلبوه
حقيقة أم شبه لهم . وكيف توفاه الله ورفعاه اليه . وأسأله عن الحوارين أنصار الله .
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب .

- أريد أن أسأله عن أمه السيدة مريم العذراء وكيف قالت لها الملائكة يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى . كيف ولدته ولم يمسهما بشر ولم تك
بغيا . وكيف هبطت معه ومع سيدنا يوسف مصر . وكيف اجتازوا الصحراء بين بيت
لحم ومصر . وهل استظلت حقيقة بشجرة المطرية ؟ . وكيف وجدوا مصر . وكيف
وجدوا حال المصريين .

سيدنا محمد :

- شخصية حارت البرية فيها . يدين لها الآن ٤٠٠ مليون مسلم ودان لها
من قبل في خلال ١٣٦٦ سنة الف الف مليون شخص ونيف .

- أسأله عن سيدنا جبريل عليه السلام . وكيف كان يبلغه كلام الله . وكيف أسرى ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . وكيف هاجر من مكة الى المدينة . وكيف كان هو وصحبه في الغار . وأطلب منه أن يحدثنا عن حال العرب في زمن الجاهلية وفي زمن الاسلام .

- وأسأله عن صحبه وخلفائه . أبي بكر وهو أول من أسلم من الرجال . والسيدة خديجة وهي أول من أسلم من النساء . والسيدة عائشة وهي أول من كنى بأُم المؤمنين . وعن عمر وهو أول من لقب بأُمير المؤمنين . وعن علي وهو أول من أسلم من الغلمان . شخصيته وشخصية سيدنا عيسى شخصيتان عجيبتان حقاً . ولدا وعاشا في البراري والصحارى وفي زمن الجاهلية والوثنية فظلعا على العالم بشرائع وتعاليم وآداب سمت الى ذروة الحكمة جمعت بين أدب الدين وأدب الدنيا . دانت لهما آلاف الملايين من الناس يكاد عددهم يبلغ الآن ثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية . فما هي هذه القوة الروحانية التي سيطرت على العالم الى هذه الدرجة ؟ . . . سر عجيب حقاً .

واذا سألت سائل لماذا اخترت هؤلاء الخمسة وآثرتهم على غيرهم . قلت اخترتهم وآثرتهم لأن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ولأنه لم يرمهم أحد ولم يصفهم أحد . . . وما كان في زمانهم لا فونوغراف يسمعنا أصواتهم . ولا فوتوغراف يرينا أشباحهم . ولا سينما ترينا على الشاشة البيضاء حركاتهم وسكناتهم . ثم أريد أن أستدرج هؤلاء وهؤلاء الى دار « أخبار اليوم » ليصورني مصورها معهم ومع أسرة « أخبار اليوم وآخر ساعة » وأحفظ هذه الصورة للذكرى والتاريخ (١)



الامير عبد الكريم



الامير عبد القادر

يعد الأمير عبد القادر من أبطال القرن التاسع عشر . و يعد الأمير عبد الكريم من أبطال القرن العشرين .

ولد الأول في سنة ١٨٠٨ ونابليون في أوج عزه ومجده . وزار مصر ومحمد علي في أوج عزه ومجده . وولد الثاني في سنة ١٨٨٢ واسبانيا مضطربة ومصر مشتبكة مع إنجلترا من جراء الثورة العربية

والأول حج في سنة ١٨٣٦ وزار الحرمين الشريفين وصار حاجاً ثم زار بغداد . والثاني لم يزر البيت الحرام ولم يرم مصر ، إلى أن نزل فيها أمس
الاثنان من بلاد المغرب : الأول جزائري من وهران ، والثاني مراكشي من بلاد الريف .

الاثنان أعلنوا الجهاد : الأول على فرنسا ، والثاني على أسبانيا وفرنسا معاً .

كلاهما أراد استقلال بلاده ، الاول باخراج الفرنسيين من بلاد الجزائر . والثاني باخراج الأسبان والفرنسيين من مراكش .

الاول جند من قبائل بلاده ١٠.٠٠٠ مقاتل (٨.٠٠٠ من المشاة و ٢.٠٠٠ من الفرسان) والثاني جند من قبائل بلاده ١٠.٠٠٠ مقاتل .

بدأ الاول وانتصر على الفرنسيين . فاضطرت فرنسا الى عقد محالفة معه في ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٣٢ وبهذه المحالفة اعترفت به سلطاناً على مقاطعة وهران وعلى مقاطعة الجزائر كما اعترف به سلطان مراكش أميراً للمؤمنين في بلاد الجزائر . وبدأ الثاني وانتصر على الأسبان في وقعة انوال في ٢١ يولييه سنة ١٩٢١ شفع هذا النصر بنصر آخر في أغسطس سنة ١٩٢٤ وبهذين النصرين بسط سلطانه على الريف .

الاول حارب فرنسا ١٣ سنة (من سنة ١٨٣٤ الى سنة ١٨٤٧) لم يكل ولم يمل وهو على صهوة جواده الاسود وعلى رأسه عمامته الخضراء . والثاني حارب أسبانيا وفرنسا معا خمس سنوات (من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٦)

جردت فرنسا لمحاربة الأمير عبد القادر ١٠.٠٠٠ مقاتل كانوا تحت امره أربعة من كبار رجال الحرب هم : الدوق دومال ، والجنرال بوجو ، والجنرال لاموريسير ، والجنرال ديميشل وجردت أسبانيا وفرنسا ٣٠.٠٠٠ مقاتل لمحاربة الأمير عبد الكريم كانوا تحت امره الماريشال بيتان المعروف

ومن المصادفات الغريبة أن الأمير عبد القادر الذي حارب الفرنسيين كان يعاونه رجل فرنسي اسمه ليون روش اعتنق الدين الاسلامي ، وانضم الى الأمير عبد القادر ولبث يعاونه سنتين كاملتين على مثال ما فعله سليمان باشا الفرنسي مع محمد علي باشا الكبير اذ ان سليمان باشا كان من جنود نابليون ، وبعد وقعة واترلو هاجر من فرنسا . ولما حضر الى مصر دخل في خدمة محمد علي باشا واسلم ، وبقي يعاون محمد علي وابنه ابراهيم ما عاش الى أن توفي

ولما شئت فرنسا جنود الامير عبد القادر وجنود حليفه سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن ، وتخلت عنه القبائل التي كانت موالية له ولم تنجده تركيا ولا إنجلترا ولا اسبانيا ، ولم تُجِدْه العناية الواسعة في فرنسا نفسها ، ووقعت أسرته وحاشيته في

قبضة الفرنسيين في ١٦ مايو سنة ١٨٤٣ ولم يعد في قدرته المقاومة ، سلم نفسه الى الجنرال الفرنسي لاموريسير في ليلة ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٧ واعتبرته فرنسا أسير حرب واعتقلته في مدينة بو (فرنسا) وبقي معتقلا فيها إلى أن تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية لويس نابليون (ابن اخي نابليون الكبير ، وهو الذي استولى على عرش فرنسا فيما بعد باسم نابليون الثالث) فعفا عنه في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٥٢ وسمح له بالاقامة في تركيا ، فسافر وأقام في مدينة بورصة ثلاث سنوات ، ثم انتقل منها الى ازمير ، ومنها الى دمشق إلى أن توفي في ٢٦ مايو سنة ١٨٨٣ مذكوراً بجميل خلالته وجليل أعماله اما الامير عبد الكريم فبعد أن نفذت موارده وقل زاده وتخلت عنه القبائل التي كانت موالية له سلم نفسه بلا قيد ولا شرط في شهر مايو سنة ١٩٢٦ ونفى في جزيرة رينيون ، إلى أن عفى عنه في هذا الشهر وهو الآن في طريقه الى فرنسا ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر للأمير عبد القادر بعض مآثره التي تخلد له الذكري الحسنة

- فمن ذلك انه في خلال سنة ١٨٦٠ شبت ثورة في دمشق أعقبتها مذبحة هائلة فدفعت الشهامة والمروءة والانسانية الأمير عبد القادر الى حماية النصارى فانقذ برجاله المغاربة حياة ١٢٠٠٠ مسيحي ، واعترافا ببطولته وشهامته ومروءته قلده حكومة فرنسا نيشان الليجيون دونور

- وقد ثنى الأمير عبد القادر هذه الشهامة بشهامة مثلها في سنة ١٨٧١ عندما اشتبكت فرنسا مع ألمانيا في حرب السبعين إذ سعى الساعون الى تخريضة على العودة الى بلاده ورفع لواء الجهاد على فرنسا ، ولكنه رفض أن يطعن فرنسا في ظهرها وهي مشتبكة في حرب وبقي على ولائه واخلاصه ، الى أن لبي نداء ربه . رحمه الله رحمة واسعة وصفه أحد المؤرخين بعبارة جمعت بين الایجاز والاعجاز فقال : « كان زعيما بكل ماوسعت هذه الكلمة من المعاني السامية جمع شجاعة الجندي ومهارة السياسي وحزم الادارى علاوة على إيمان المؤمنين »^(١)

(١) كتبنا هذه المقالة في جريدة « الاهرام » عدد ١ يونيه سنة ١٩٤٧

كثير الكلام على المياه الصالحة للشرب ووجوب توفيرها لساكني الأرياف

حسب الحاسبون المال اللازم والزمن اللازم لتحقيق هذا المشروع الحيوى ، فقال بعضهم ان المال اللازم يزيد على ١٣ مليوناً من الجنيهات ، وان الزمن اللازم يزيد على عشر سنوات

الواقع ان تنفيذ هذا المشروع الجليل ذا المنفعة العامة لا يحتاج إلى مال قارون ، ولا الى صبر أيوب ، ولا إلى عمر نوح

ان في المملكة المصرية ٤٠٠٠ قرية يسكنها ٩٠ ٪ من سكان مصر . وملاك الأطيان الواسعة كثيرون جداً ، وأغنياء جداً ، والفلاحون والمزارعون الذين عندهم كثيرون جداً ، وفقراء جداً . فقر هؤلاء الفقراء جريئة هؤلاء الأغنياء . الأغنياء بخلاء جعلوا أيديهم مغلولة الى أعناقهم لا ينظرون بقلوبهم الى السماء أو إلى الفلاح المسكين ، ولى نعمتهم كما قال محمد على باشا الكبير، فيحسنون حاله من مسكن ومأكل ومشرب ، بل ينظرون بأعينهم الى الأرض وإلى ثمرات الأرض ، يسطون عليها لينفقوها في ملاذهم . طبقة الملاك تتعب من فرط الرخاء ، وطبقة الفلاحين تموت من فرط الشقاء . المالك الغنى « بنك متحرك » لا عمل له ولا نفع يرجى منه . والفلاح المسكين (مستثنى متحرك) يعمل في الغيط وفي البيت ، من الشفق الى الغسق ، ليخرج من الأرض أطيابها لينعم بها المالك العاقل من كل شئ الا من المال

لا تجد من أرض الهرم إلى أرض الحرم ، ومن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، فلاحاً أكثر عملاً وأقل رزقاً من الفلاح المصرى

توفير المياه الصالحة للشرب لساكني الأرياف ومقدار تكاليف تنفيذ المشروعات اللازمة يدعوني الى ذكر اقتراح كنت عرضته على مدير البحيرة فى خلال سنة ١٩٣٢ وكررتة على الحكومة فى سنة ١٩٣٦ لعل الذكرى تنفع الذاكرين :

« حضرة صاحب السعادة عبد السلام الشاذلى باشا مدير البحيرة
« أجمع الأطباء على أن معظم الأمراض التي تنتاب الأهالى في مصر سببها
في الغالب عدم صلاحية مياه الشرب . الفلاحون اعتادوا على أن يشربوا مياه الترعى
بدون أن يعتنوا بترشيحها .

« وتكون المصيبة أطم وأعم في حالتين .

« الأولى - عندما تكون مياه النيل خضراء في ابان التحاريق بسبب كثرة
الأعشاب التي تكون فيها ، وعندما تكون حمراء في ابان الفيضان بسبب كثرة
الطمي الذي يكون فيها . فالفلاح يشرب المياه كما هي ، بدون أن يعتنى بترشيحها

« الثانية - عندما تنقطع المياه عن الترعى في أيام المناوبات الطويلة يضطر الفلاحون
الى حفر تقرر في مجارى الترعى أو في مجارى المصارف ، ويشربون ما تنزه الأرض
من المياه هم ونسائهم وأولادهم وبناتهم ودوابهم . وكثيراً ما يكون البعوض فيها كثيراً ،
فتنتقل إليهم جراثيم الأمراض الفتاكه .

« لاحظت هذا في عزبتي الكائنة في مذبية ثروت باشا . كما لاحظته أيضاً في
عزب كثيرة مجاورة وغير مجاورة في مركز أبى المطامير وفي غير مركز أبى المطامير .
في مديرية البحيرة وفي غير مديرية البحيرة

« خطر بفكرى ان (أدق) طلمبة أو طلمبتين أو ثلاث طلمبات لأضمن لأهالى
عزبتي المياه النقية . وبالفعل (دقيت) ثلاث طلمبات كانت مياهها عذبة جداً ونقية
جداً ، فأقبل أهالى عزبتي وأهالى العزب المجاورة على الشرب منها . ويمكننى أن
أؤكد لسعادتك ان هذه الطلمبات تصرف من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ بلاص أو صفيحة
في اليوم الواحد لعموم أهالى المنطقة .

« وقد ترتب على هذا ان قلت الأمراض كثيراً كما أن الفلاحين والمزارعين وجدوا
سهولة كبرى لشربهم وشرب نسائهم وأولادهم وبناتهم ودوابهم

« عندما رأيت نجاح الفكرة استحسنتم تعميمها في العزب وفي البلاد إذا
وجدت هذه الفكرة من الحكومة مساعداً ومشجعاً ومنفذاً وأنى على يقين بأن تعميم هذه

الفكرة وضمان شرب مياه صالحة للأهالى والمواشى له فائدة عظيمة جداً لا تقل عن فائدة المستشفيات التى أنشأتها الحكومة فى الأرياف . ان المستشفى يكلف الحكومة ٤٠٠٠ جنيه نفقة بنائه علاوة على ١٥٠ جنيهاً أو ١٦٠ أو ١٧٠ أو ١٨٠ جنيهاً شهرياً نفقة معالجة المرضى ومرتببات المستخدمين ومصاريف ادارة مع ان الطلبة ودقها لا يكلفان أكثر من ١٢ جنيهاً بدون نفقة شهرية

« من هذا ترون سعادتكم ان الفرق هائل جداً . وربما كان الأثر الطيب الذى يستفيدة الفلاحون من الطلبة أكثر بكثير من الفائدة التى يستفيدونها من المستشفى . ألم يقولوا ان درهم وقاية خير من قنطار علاج ؟ . فاذا استحسنتم سعادتكم فكرة تعميم دق الطلبات فى عموم بلاد وعزب مديرية البحيرة - كل واحدة بنسبة الأهالى المقيمين فيها - ونفذتموها خدمتم الاهالى خدمات تشكرون عليها أبدا الدهر

« وحبذا لو بدأتكم سعادتكم بتعميم هذه الفكرة فى مديرية البحيرة لتكون البحيرة أولى المديرىات التى تنتفع بهذا النظام الصحى البديع وتكون سعادتكم أول المديرين الذين عمموا ونفذوا هذه الفكرة وتكونون خدمتم أهالى المديرية خدمة تخلد لكم حسن الأحدثه بين عموم الأهالى »

وبعد ثلاثة أيام - ثلاثة أيام فقط - ورد الرد وفيه :

« قد اطلعنا على كتاب حضرتكم المؤرخ أول اغسطس سنة ١٩٣٢ الجارى بشأن الطلبات التى أوجدتموها بعزبتكم وبها يسرتم للزارعين والفلاحين الحصول على مياه عذبة وصافية للشرب بسهولة وبنفقات بسيطة ، وطابتم تعميم ذلك بدائرة المديرية وقد وافقنا على هذه الفكرة وأمرنا بتعميمها فى بلاد وعزب المديرية بقدر المستطاع . وانا نشكركم على اهتمامكم بمثل هذه المشروعات النافعة التى تعود على الاهالى بأجل الفوائد من الوجهة الصحية »

لم يتسع الوقت للشاذلى باشا لينفذ الفكرة لانه نقل الى مديرية أخرى . ولما لم يهتم أولو الامر بالفكرة أعدت الكرة فى سنة ١٩٣٦ - أى بعد أربع سنوات - فكتبت فى جريدة « الاهرام » (عدد ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦) مقالة تكلمت فيها على حالة

الفلاح وعددت الاسباب التي تكفل للفلاح ولعائلته صحة جيدة كان أولها نقاء مياه الشرب وها ما قلته فيها بالحرف الواحد

« معظم الأمراض التي تفتك بساكنى الأرياف من فلاحين ومزارعين سببها الأول عدم نقاوة مياه الشرب . إذا عطش الفلاح مال الى التربة أو المسقى وشرب . ومياه الترع والمساقى تكون عادة محملة بالمواد العفنة والمواد القذرة والمواد الفاسدة التي تكون عالقة بمياه الترع والمساقى . لا يمر أسبوع أو أسبوعان إلا واجد في الترع التي أمر بها رمة بهيمة . فإذا مادخت المادة العفنة أو القذرة أو الفاسدة جسم الفلاح فتكت به . وفي ابان التحاريق اعتاد الفلاحون حفر نقر في مجارى المساقى والمصارف للشرب من النرز ، ونرز المصارف والمساقى فيه جرائم فتاكة . وإذا مادامت أيام التحاريق أسبوعين أو ثلاثة كانت المياه أقل صلاحية للشرب وأكثر فتكا بأجسام الفلاحين . وعلاج هذا بسيط جداً : دق طلمبة أو طلمبتين فى كل عزبة . ودق الطلمبة لا يكلف أكثر من اثني عشر جنياً . وقد استخدمت هذه الطريقة عندى فنجحت نجاحاً تاماً . أقبل الفلاحون والمزارعون من العزب المجاورة على أخذ المياه من الطلمبتين اللتين ركبتهما قفلت الأمراض فى المنطقة كلها» .

فلو كانت الحكومات التي تعاقبت من سنة ١٩٣٢ الى اليوم عملت بالاقتراح ونفذت الفكرة لكان حال الفلاح اليوم غير ما هو عليه الآن . ولكن عدم استقرار سياسة الوزارات (من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٧ - أى فى مدى خمس عشرة سنة - تعاقبت ٢٠ وزارة منها ١٤ وزارة لم تعمر إلا بضعة شهور) أدى بنا إلى الحال التي تشكوها اليوم . حنانيك يارب (١) .

مسكين الفلاح المصرى ، اشق الناس عملاً . أقلهم رزقاً . أكثرهم جهوداً . أتعسهم معيشة . الأرض فراشه . السماء غطاؤه . البتاو والمش غذاؤه . ومن التربة والمساقى والمصارف ماؤه . امرأته ولود . أولاده جنود . أقل الناس من الحكومة عناية . ومن مواطنيه رعاية . يشتغل فى الأرض . فى بياض اليوم دائماً وفى سواد الليل أحياناً . يعمل كل الأسبوع . طول السنة . فى أيام الجمعة . وفى المواسم . وفى الاعياد .

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » عدد ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧

لا يذوق طعم الراحة . لا راحة الجسم ولا راحة البال . أن مرض أورمد فلا يجد مستشفى يأويه . ولا طبيباً يداويه . يستبد به العمدة . ووكيل العمدة . والشيخ . ووكيل الشيخ . والمأمور . والمعاون . والعسكري . والحفير . لا أعرف في بلاد العالم فلاحاً في حالة ذلّ ومتربة ومسكنة مثل الفلاح المصرى مع أن الحكومة تحبى من عرقه ومن عروقه ٢٥٨٥٧٣ ر جنيها سنوياً

ويطيب لى هنا ان أورد ما كتبه الأستاذ الفاضل محمد الصباحى فى جريدة الاهرام تحت عنوان (جاموسة الفلاح) . قال الله دره :

« فكرت وزارة الزراعة فى توزيع جاموس على الفلاحين وعملت على اخراج الفكرة الى حيز الوجود ، فخطت خطوة موفقة فى مكافحة الفقر والمرض فى الريف . ورفع مستوى الحياة فيه . والجاموسة للفلاح كالروح للجسد ، تعينه على فلاحه أرضه ، فهو يزامل بها جاره الذى يملك جاموسة مثله ، وتعطيه الجبن والزبدة لطعامه ، وقطرة اللبن يتغذى بها أطفاله .

« وهذه الفكرة فى الواقع ثورة تأتى من أعلى لتكون وقاية من ثورة تأتى من أسفل . بل هى حجر الأساس فى بناء جيل صحيح سليم من أبناء الريف ، يعطى للبلاد جنوداً تبقى عدة نافعة فى الملمات ، ورجالا ينهضون بكل مسؤولية ويساهمون فى كل ملة ، ويسايرون تطورات الزمان فى قوة وطأينة

« ان الذين يدركون الحياة التى يحياها اخواننا الفلاحون فى الريف ، ينحجلون من مصرتهم ، وينحجلون مرة أخرى لأن عشرات القرون مرت من غير أن تجد اليد الشفيقة التى تمتد الى هؤلاء البؤساء لاتقاذهم من حالة مريرة ، وعيشه قاسية ، وحرمان لا يتصوره على حقيقته إلا من يشاهده

« ويخيل لنا ان المثل القائل « البعيد عن العين بعيد عن القلب » مسؤول عن استمرار هذه الحالة ، فكانت الحكومات تكتفى دائماً بالعناية باصلاح الفاسد الذى يقع تحت بصرها وسمها وشمها ، وتعنى كذلك بالشكوى التى يتصل بها خبرها فهى انقذت الثروة العقارية وساعدت المدينين ، وهى دائبة الرعاية لطبقة العمال فى العواصم .

اما الريف الذي تسمع به الحكومات ولا تراه الا في زيارة رسمية أو حشود حكومية، فانه متروك لحظه

« ان توزيع هذا الجاموس سيوفر للحكومة الأموال التي تنفقهها على مستوصفات الانكلستوما والبللاجرا ، وفقر الدم وسائر الأمراض التي يجلبها فقر التغذية
« ولكي ينجح هذا المشروع يجب أن يقسم تعميمه على سنين معدودة ، وان يكون التوزيع عادلا ومنظماً ومنزهاً عن الوساطة والشفاعة والتميز ، وان توضع له القواعد التي لا تقبل الاستثناء ، ولا تحتل التأويل

« ان الحكومة انقصت ملياً من ثمن الرغيف لكي تضمن للطبقة الدنيا في العواصم غذاء كاملاً ، وفي هذا تخسر الخزانة كل عام ما يقرب من أربعة ملايين جنيه ، فهذه التضحية للتيسير على فقراء العواصم في عامين يمكنها توفير جاموسة لكل أسرة محرومة منها في الريف ، فان في القطر أربعة آلاف قرية ، ويمكن أن توزع خمسون جاموسة في كل قرية لتقضى قضاء مبرماً على الفاقة وعلى الأمراض المتوطنة والطارئة في الريف .

« على أنه يجب أن تكون الأولوية للأسرة المعتمدة التي لا تملك أطياناً لأنه قل أن يوجد فلاح يملك فداناً أو نصف فدان ولا يملك معه جاموسة
«ويمكن الاستعانة بالجمعيات التعاونية على مقابلة فكرة وزارة الزراعة في منتصف الطريق فتساهم بنصف الكلفة كل عام

«وسيترب على أحكام تنفيذ هذا المشروع الجليل النافع أن تكثر الألبان وتكثر الجلود واللحوم ، ويزداد إيراد البلاد الزيادة التي تساعد على مواجهة مسؤوليات الحياة الجديدة في المدينة وفي القرية »

نشرت « أخبار اليوم » بأن (معالى محمود حسن باشا لا يزال يبحث عن فتوى قاضى القضاة الذى افتى فيها بأن لا حق لأجنبي فى التملك على مجرى الحوت ، أى مجرى النيل ، وذلك بمناسبة تقرير اقتطاع جزء من حديقة السفارة البريطانية لمد كورنيش النيل) ، وان (معاليه يقول انه لم يقطع الأمل فى العثور على هذه الوثيقة). وقد روى لى المرحوم السيد حسين صابر الذى كان كاتب اشهادات محكمة مصر الشرعية - وهو ابن المرحوم مصطفى صابر الذى كان برنجى المحكمة الشرعية فى الزمن الماضى - انه لما طالب من قاضى مصر أن يأذن لأحد كتاب المحكمة الشرعية فى قبول اشهاد من نائب الحكومة المصرية - واعله محافظ مصر فى ذلك الوقت - الى المعتمد البريطانى بصفته نائباً عن الحكومة الانجليزية ببيع الارض القائم عليها الآن مبنى السفارة البريطانية رفض قاضى مصر ، وكادت تحدث وقتئذ أزمة بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية. الا ان المرحوم السيد حسين صابر بدهائه المعروف حل المشكلة بأن أشار باستصدار اشهاد البيع الى غير المعتمد البريطانى وبعد أن تم الاشهاد بالفعل باع المشتري ما اشتراه الى النائب عن الحكومة البريطانية . وبهذه الحيلة انحل الاشكال وقضى الأمر .

بعد نشر هذه الكلمة كتب الى أحد الأفاضل يقول : علام استند قاضى مصر عندما رفض الاذن لكاتب المحكمة الشرعية فى قبول الاشهاد من نائب الحكومة المصرية ببيع الارض القائم عليها الآن مبنى السفارة البريطانية فى قصر الدوبارة الى المعتمد البريطانى فى ذلك الوقت

فأقول :

فى خلال سنة ١٨٤٢ أباح محمد على باشا للأجانب تملك الاطيان والعقارات فى مصر . على حين ان تركيا كانت تحرم تملك الاجنبى شبر أرض فى كافة ولايات السلطنة العثمانية

ولكن لما نشبت الحرب الروسية التركية في سنة ١٨٥٤ وهبت فرنسا وإنجلترا لمساعدة تركيا بجيوشهما وأساطيلهما وانتصرت على روسيا، انتهزت هاتان الدولتان الفرصة وطلبتا من ضمن ما طلبتا - مقابل هذه المساعدة القيمة التي كلفتها مالا ورجالا - الاعتراف لرعاياها ولجميع الأجانب بحق تملك الأراضى والعقارات في تركيا، وقبل السلطان ذلك وأصدر فرماناً همايونياً في ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ أباح فيه للأجانب أن يملكوا الأطنان والعقارات في المملكة العثمانية . وهانص المادة الأولى من الخط همايونى (وقد رخص للأجانب أن يفتنوا أملاكاً ثابتة فى جميع أرجاء المملكة العثمانية - ما عدا الحجاز - ويتمتعوا بهذا الحق أسوة بالرعايا العثمانيين ويكونوا خاضعين لأحكام القوانين واللوائح السارية على الرعايا المذكورين) . وفى المادة الثانية نص على أن (يعامل الأجانب فيما يختص بالأملاك الثابتة التى يمتلكونها فى المملكة العثمانية أسوة بالرعايا وبالحضوع والامتثال لكل القوانين المسنونة للعثمانيين بدون أدنى فرق فيلزموا فى الوقت الحاضر والتى ربما تسن فى المستقبل للتمتع بالعقار ولانتقاله وللتصرف به ولرهنه كما يخضعون لأحكام جميع لوائح الضبط والمجالس البلدية الموضوعة فى الوقت الحالى والتى ربما توضع فى المستقبل فيما يختص بهذه الأمور) . وقد نص الخط همايونى كذلك على اختصاص المحاكم العثمانية بنظر جميع المنازعات التى يكون موضوعها هذه الأطنان وهذه العقارات .

إلا ان تركيا مكرت فأرجأت تمنع الأجانب بمزايا هذا القانون الى اليوم الذى يتم فيه (تصديق الدولة الأجنبية على ما سيعرضه الباب العالى من الاقتراحات فى مسألة الامتلاك)

فيحتمل أن يكون رفض قاضى مصر جاء فى الفترة بين ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ وهو تاريخ صدور الخط همايونى وبين تصديق الدولة البريطانية على اقتراحات الباب العالى واشتراطاته . .

وإذا قال قائل : ولكن محمد على باشا أباح للأجانب أن يملكوا الأطنان والعقارات فى مصر منذ سنة ١٨٤٢ (أى من قبل صدور الخط همايونى فى ١٨ فبراير

سنة ١٨٥٦ فعلام استند قاضى مصر فى رفض الاذن لنائب الحكومة المصرية فى بيع أرض مصرية للمعتمد البريطانى .

نقول :

ان قاضى مصر استمد سلطته من السلطان رأساً ، فمن المحتمل أن يكون قد اعتبر نفسه غير مقيد بالقوانين المصرية . فاذا ما رفض الاذن بتليك دولة أجنبية أرضاً فى مصر كان له ما يبرر تصرفه . اما الحكومة المصرية فكانت حرة فى عدم التقيد بالخط الهايونى وبالتقيد الوارد فى الفقرة الاخيرة منه

ومثل هذا كمثل حق اقامة الاجانب فى تركيا وفى مصر . فان تركيا قيدت دخولهم واقامتهم فى بلادها بقيود كثيرة وأوجبت حصولهم على جواز تركى . وعلى تذكرة نفوس تركية قبل أن تطأ أقدامهم أرض الولايات العثمانية حسب الأصول الواردة فى فرمان سنة ١٨٤٤ ، اما مصر فلم تعمل بالفرمان التركى ولا بالأصول التركية ولا بالأحكام التركية وأباححت للاجانب دخول مصر والاقامة فيها بلا قيد ولا شرط ولم يوضع نظام خاص لهجرة الأجانب فى مصر الا فى سنة ١٨٥٧ ، على ان قناصل الدول الأجنبية لم يراعوا الاثمة سنة ١٨٥٧ وسهلوا لرعايا بلادهم دخول مصر والاقامة فيها بلا شرط ولا قيد . (١)

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « أخبار اليوم »

تنتظر الاميرة اليزابيث وليّة عهد الامبراطورية البريطانية حادثاً سعيداً . وفي هذا الحادث ذهبت الظنون في جميع أنحاء الامبراطورية البريطانية كل مذهب . تساءل الناس - ولا سيما الانجليز - هل المولود سيكون ذكراً أو أنثى فان كان ذكراً واستوت الاميرة والدته على العرش يكون لقبه أمير ولز Prince of Wales

الحديث ذو شجون يسوقنا الى الكلام على أمرين :

- هل وصل علم الطب الى معرفة جنس المولود قبل الوضع ان كان ذكراً أو أنثى . وهل وفق العلماء أن يذكروا الجنين قبل ولادته .

- ما أصل تسمية وليّ عهد الامبراطورية البريطانية باسم أمير ولز ؟

(١) الطب وصل الى معرفة جنس المولود - ان كان ذكراً أو أنثى - قبل الوضع بثلاثة أشهر أو أربعة ولكنه لم يصل الى تذكير الجنين قبل الوضع . وفي أمر تذكير الجنين ذهب العلماء مذاهب شتى كل يدلى برأى ولكنهم لم يتفقوا ولم يوفقوا . هذا البحث سبق لنا بليون أن بحثه وأدلى فيه برأى أودعه رسالة بعث بها في ٣١ اغسطس سنة ١٨٠٦ الى الاميرة أوجستا بنت ملك البافير Bavière التي تزوجها أوجين Eugène de Beauharnais ابن زوجته الامبراطورة جوزفين . وها الرسالة بنصّها وفصّها :

"Ma fille, j'ai lu avec plaisir votre lettre du 10 Août. Je vous remercie de tout ce que vous me dites d'aimable. Vous avez raison de compter entièrement sur tous mes sentiments. Ménagez-vous bien dans votre état actuel, et tâchez de ne pas nous donner une fille. Je vous dirai la recette pour cela, mais vous n'y croirez pas : c'est de boire tous les jours un peu de vin pur."

وتعريبها :

(الى بنتى . قرأت بمزيد السرور كتابك المؤرخ ١٠ اغسطس وأشكر لك كلماتك الرقيقة . لك الحق في أن تعتمدى كل الاعتماد على عواطفى نحوك . لا تجهدى نفسك في الحالة التى أنت عليها الآن . واجتهدى أن لا تضعى لنا بنتاً . وها أنا أدلك على الطريقة التى

توصلك الى هذا الغرض ربما لا تصدقها ولا تقتنعى بها . هي أن تشربى كل يوم قليلا من النبيذ الحرّ) .

هذا ما قاله نابليون والعهد عليه .

في خلال القرن الثالث عشر قامت حرب بين كونت لايسستر Comte de Leicester وهنرى الثالث ملك إنجلترا انتهت بهزيمة هنرى الثالث وأسرته في معركة لوفيس (سنة ١٢٦٤) إلا أن أدوارد (ابن الملك هنرى الثالث) حشد جيشاً حارب به كونت لايسستر وهزمه في سنة ١٢٦٥ وأطلق سراح أبيه الملك هنرى الثالث وأعادته إلى العرش . ولما توفى والده واستوى هو على عرش إنجلترا وتسمى باسم أدوارد الأول (من سنة ١٢٧٢ إلى سنة ١٣٠٧) أخضع بلاد ولز Wales . وفي ٧ فبراير سنة ١٣٠١ أطلق على ابنه أدوارد كارنافورن لقب أمير ولز Prince of Wales ومن هذا التاريخ صار وليّ عهد إنجلترا يعرف بهذا الاسم .

- وكذلك في فرنسا بعد ما استولى ملوك فرنسا على مقاطعة الدوفينه Dauphiné أطلقوا على أكبر أولاد ملوك فرنسا لقب دوفين Dauphin وصار هذا الاسم لقب أولياء العهد بفرنسا .

- ومثلها أسبانيا اذ لما ضمّ فرديناند الأول الكبير مملكة استوريا سنة ١٠٣٧ إلى مملكته أطلق على وليّ عهد اسبانيا لقب (أمير استورى Prince des Asturies) .
- ولما غزا أمنتب فرعون مصر بلاد النوبة - التي أطلق عليها قديماً اسم بلاد الكوش - سُمّي وليّ عهده (أمير الكوش) .

- ولما غزا نابليون إيطاليا سُمّي ابنه ووليّ عهده (ملك روما) عاصمة إيطاليا .
- وفي عهد المغفور له الملك فؤاد أطلق على ابنه الأمير فاروق لقب (أمير الصعيد) .

جاء في مجلة المصور عدد ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ان الأستاذ عبد الرحمن البيلى بك وزير المالية الأسبق قال قبل سفره الى باريس حكاية عن «الأداة الحكومية» :

(ان الكفايات لا تنقص الموظفين ولا ذنب لهم فيما أصاب الأداة الحكومية من الخلل : إنما الذنب يقع على المسؤولين من الحكام . أولئك الذين يضعون الرجل الجيد في المكان غير الجيد والرجل غير الجيد في المكان الجيد . ومن هنا رأينا خريج التجارة العليا يعمل في وزارة الصحة . وخريج الحقوق يعمل في وزارة الزراعة . والمهندس الزراعى يعمل في السكة الحديد . وحامل دبلوم المعلمين يعمل في مصلحة الرى) .

يذكرنى قول البيلى بك بكلمة جامعة مانعة جمعت بين الایجاز والاعجاز قالها الكاتب الفرنساوى الشهير بومارشيه Beaumarchais (الذى ولد فى سنة ١٧٣٢ وتوفى فى سنة ١٧٩٩) وكانت حالة فرنسا فى ذلك العهد تشبه حالة مصر الآن وتنطبق تمام الانطباق على كلمة الأستاذ البيلى بك . تلك الكلمة هى : (حيث تقتضى المصلحة تعيين شخص مهر فى الحساب يفوز بالوظيفة شخص مهر فى الرقص) .

“Là où il fallait un calculateur, c'est un danseur qui l'obtint.”

صدق من قال (ان التاريخ يعيد نفسه وينبئ رسمه ويجمع بين يومه وأمسه)

من غريب المصادفات في الأعداد :

عدد ٢٣ أغسطس

أولاً - في ٢٣ أغسطس توفى سعد باشا زغلول (زوج صفية هانم كريمة مصطفى باشا فهمي) .

- في ٢٣ أغسطس توفيت درية هانم زكي (شقيقة مصطفى باشا فهمي) .

- في ٢٣ أغسطس توفيت المغفور لها فهيمة هانم سرهنك (شقيقة المغفور لها صفية هانم زغلول) .

- في ٢٣ أغسطس توفيت المغفور لها زكية هانم صدقي (شقيقة المغفور لها صفية هانم زغلول) .

- في ٢٣ أغسطس دفن المغفور له محمد علي زكي بك (ابن أخى مصطفى باشا فهمي) .

عدد ٦

ثانياً - وكما ان عدد ٢٣ أغسطس له صلة بعائلة أم المصريين كذاك عدد (٦) كان له حظاً في حياتها إذ :

- انها ولدت في ١٦ يونيه سنة ١٨٧٦ .

- وتزوجت في ٦ فبراير سنة ١٨٩٦ .

- وكان لها ساعة مستديرة تدور كل (٦) أيام مرّة .

- وفي ٦ يناير سنة ١٩٤٦ كتبت بخط يدها على النتيجة (تملأ الساعة المستديرة) .

- واتقضت الأيام الستة في يوم ١٢ يناير أى (٦ زائد ٦) سنة ١٩٤٦ .

- وقد وقف والدها المغفور له مصطفى فهمي باشا ٦٠٠ فدان جمعها وقفاً على بناته

الثلاث (حرم سعد باشا . وحرم سرهنك باشا . وحرم محمود صدقي باشا) .

- ولما توفيت صفية هانم تركت الـ ٦٠٠ فدان .
- كما تركت ٦٠٠٠ جنيه نقداً في البنك .
- وكان استحقاقها في وقف أطيان زكى $\frac{1}{6}$ ريع الوقف .
- ولما توفي المغفور له على زكى بك - عم صفية هانم زغلول - ترك ستة من الأولاد (أربعة ذكور وبنيتين) .

- وفي سنة ١٩٢٦ تشرفت المغفور لها صفية هانم زغلول بزيارة جلالة الملكة نازلى وفيها رأت الفاروق لأول مرة . قابلته فقبلته فخرى مسرعاً وعاد ويده صورته الكريمة أهداها اليها . فطلبت منه أن يوقع عليها باسمه . ففعل وكانت أول امضاء وقع به . وهذه الصورة موجودة الآن في متحف بيت الامة ...!!
ثالثاً - عدد ١١

- في سنة ١٩١٨ وقع مندوبو المانيا على شروط الهدنة التي فرضها عليهم الماريشال فوش Maréchal Foch قائد جيوش الحلفاء :
- في الشهر الحادى عشر (نوفمبر) .
 - في اليوم الحادى عشر (١١ نوفمبر)
 - في الساعة الحادية عشرة (قبل الظهر بساعة) .
- رابعاً - عدد ٢ ديسمبر

- في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٤ توج البابا بيوس السابع Pie VII في كنيسة نوتردام Notre Dame بباريس نابليون الأول امبراطوراً على فرنسا .
- في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ انتصر نابليون الأول على روسيا والنمسا وبروسيا في واحة أوسترليتس Austerlitz التي يسمونها موقعة الأباطرة الثلاثة Les Trois empereurs
- وفي ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣ أعلن مونرو Monroe رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (الخامس) مبدأ المشهور الذى من مقتضاه عدم تدخل أمريكا في شؤون أوروبا ولا تدخل أوروبا في شؤون أمريكا .
- وفي ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٨ استوى على عرش امبراطورية النمسا والمجر الامبراطور فرانسوا جوزيف وهو ابن أخى الامبراطور فرديناند الأول ابن

فرنسوا الأول امبراطور النمسا الذى زوّج بنته ماري لويز الى نابليون الاول
فى سنة ١٨١٠ .

- وفى ليلة ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ أقيمت حفلة رقص فى قصر الأليزه Elysée
فى باريس وبينما كان المدعوون مجتمعين واذا رجال رئيس الحكومة لويس
بونابرت (ابن أخى نابليون الأول) يتقضون على عدة جنرالات وعدة نواب
من المعارضين ويوثقونهم ثم يشردونهم .

- وفى يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ اجتمع ٢٢٠ نائباً وأعلنوا عزل لويس نابليون
من رئاسة حكومة فرنسا إلا ان اورطة من المشاة فجثتهم وقبضت عليهم وزججهم
فى السجون .

- وفى ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٢ نودى بالأمر لويس بونابرت امبراطوراً على فرنسا
واتخذ لنفسه اسم « نابليون الثالث » ودخل باريس بصفة رسمية بصفته
امبراطوراً .

سادساً - عدد ٥٢

فى حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ - احتلّ الالمان بلجيكا ٥٢ شهراً .
واحتلوا فرنسا ٥٢ شهراً (١) .

أمس ، تم جلاء الانجليز عن العباسية . واليوم يتم جلاؤهم عن قصر النيل . ومن قبل جلوا عن القلعة وحلوان وهليوبوليس والحلمية وباب الحديد ومصطفى باشا وكوم الدكة والعامرية ووادي النطرون والاهرام والطريق الصحراوي من الكيلو ٢٦ الى الكيلو ٤٠ الى الكيلو ١٨٧ . وبهذا يتم الجلاء عن الوجه البحرى بجملمته

يدكرنى هذا الجلاء بجلاء آخر . ذلك انه بعدما هزم نابليون فى واقعة واترلو فى سنة ١٨١٥ وانهارت امپراطوريته الواسعة ، احتل الانجليز وحلفاؤهم فرنسا بعاصمتها ومدنها الكبرى ، وقرر فى مؤتمر فيينا (عاصمة النمسا) الذى انعقد خلال سنة ١٨١٥ أن يدوم احتلال فرنسا الى سنة ١٨٢٠ وكان رئيس الجيوش المحتلة هو ولنجتون Wellington الانجليزى الذى كان له الفضل فى انتصار الانجليز وحلفائهم على نابليون فى واقعة واترلو Waterloo .

بعد خلع نابليون استوى على عرش فرنسا لويس الثامن عشر (وهو أخو لويس السادس عشر الذى أعدمه الثوار فى سنة ١٧٩٢ أثر الثورة الفرنسية المشهورة) وكان للويس الثامن عشر وزير اسمه ريشيليو جمع دهاء السياسى الى حكمة الوزير . وكان بينه وبين ولنجتون ود . فسمى لدى ولنجتون ليتعجل الجلاء قبل موعده بستين . وبسعيه اجتمع فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨١٨ قيصر روسيا وملك بروسيا وامپراطور النمسا وریشيليو كبير وزراء فرنسا فى مدينة اكس لاشابيل (عاصمة الامپراطور شارلمان الأكبر) وبعد الأخذ والرد قبلوا مبدأ الجلاء الناجز .

فلما بلغ الوزير ريشليو Richelieu نبأ هذا الجلاء الى شارل العاشر ملك فرنسا طرب طرباً كبيراً وكتب لوزيره « حسبى من الحياة أن عشت ورأيت فرنسا حرة ورأيت العلم الفرنسى يرفرف على جميع مدن فرنسا » ولما اعتلى الوزير ريشليو منبر مجلس النواب ليعلان نبأ الجلاء قال : « ان قلوب الفرنسيين على بكرة أبيهم تهتز طرباً من الأمل بأن لا يعود يرفرف على أرض الوطن علم غير العلم الفرنسى »

ولكن ما من بلد يخلو من الخونة . فانه عندما تقرر مبدأ الجلاء في اجتماع ٢٠ سبتمبر سنة ١٨١٨ وقبل أن يبدأ الجلاء سعى الكونت دارتوا (وهو أخو الملك وقد خلفه على العرش باسم شارل العاشر) لدى الحلفاء ليؤجلوا موعد الجلاء لاليهجلوه . وكان بين الوزير تاليران والوزير ريشليو عدااء مستحكم فأعلن تاليران (انه يعتبر جلاء الحلفاء عن الأراضي الفرنسية أكبر كارثة لا على فرنسا وحدها بل على العالم بأسره) ونحمد الله على أن ليس في مصر خونة يسمعون سعى الكونت دارتوا Comte d'Artois ويقولون ما قاله تاليران Talleyrand .

في سنة ١٣٤٧ احتل الانجليز ميناء كاليه Calais وقلعتها (وهي مدينة فرنسية مقابلة لمدينة دوفر الانجليزية ويفصلهما بوزاز المانش) دام احتلالهم ٢١١ سنة وفي سنة ١٥٥٨ انتزع الفرنسيون مدينة كاليه وقلعتها من الانجليز . فكان لجلاء المحتلين عن كاليه أعظم الأثر في قلوب الانجليز على وجه العموم وفي قلب ملكتهم ماري تودور Marie Tudor على وجه الخصوص . حتي انها عندما حضرته الوفاة من جراء شدة الصدمة التي هدت جسمها وزلات أعصابها قالت وهي تلفظ نفسها الأخير « اذا شقوا قلبي وجدوا اسم كاليه منقوشاً عليه » .

„ Si on ouvrait mon cœur, ou y verrait écrit le nom de Calais „

فهل بين جلاء الانجليز عن كاليه في سنة ١٥٥٨ وجلاء الانجليز عن مصر في سنة ١٩٤٧ قرابة ؟

الليب تكفيه اللامحة الدالة (١) .

بلغ عدد طلبات التجنس بالجنسية المصرية ٨١٢ ر ٣ طلباً . وفى شهر واحد - هو شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ - بلغ عددها ١٨٥٣ ولا تزال الطلبات تنهال على الحكومة وكل طالب يلح في تعجيل البت فى طلبه .

يذكرنى هذا بما كان يحصل فى الزمن القريب البعيد إذ كان قناصل الدول الأجنبية يتصيدون أصحاب اليسار من المصريين ويحرضونهم على طلب التجنس بالجنسية الأجنبية أو طلب الحماية الأجنبية ليزداد عدد الخاضعين لنفوذهم السياسى وسلاطنتهم القضائى . وكان كل مصري يوجس فى نفسه خيفة من ظلم حكام ذلك الزمان وأراد أن يأوى الى ركن شديد يلجأ إلى القنصل أو نائب القنصل ليجنسه بالجنسية الأجنبية أو ييسط عليه الحماية الأجنبية فى مقابل أجر معلوم فيخرج من ولاية المحاكم الوطنية ومن سيطرة السلطة التنفيذية .

ومن الغريب أن بعضاً منهم كانوا يعينون وكلاء قناصل فى مدن لا يوجد فيها فرد واحد تابع للدولة التى يمثلونها وبلغت الفوضى فى هذا الشأن درجة لفتت نظر على باشا الصدر الأعظم فأرسل فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٦٢ منشوراً الى سفراء الدول يلفت فيه أنظارهم الى الحد من هذه الحالة ولم يكتف بهذا بل استصدر فرماناً شاهانياً بعدم جواز التخلي عن الجنسية العثمانية والانتماء الى دولة أخرى إلا برضاء الباب العالى وقد ظهر أن كثيراً من المصريين الذين حصلوا على الجنسية الأجنبية أو على الحماية الأجنبية ما كانوا على شئ من المؤهلات السياسية أو العلمية أو الادبية وفشا هذا الأمر فى مصر حتى أصبح تجارة رابحة جر منها السفراء والقناصل مغنم كبيرة .

روى السياح الذين زاروا مصر فى ذلك العهد أن بعض المصريين عينوا قناصل لبعض الدول الاجنبية وما كانوا يعرفون لغات الدول التى يمثلونها وثبت أن بعضهم كان أمياً ، وروت سائحة انجليزية زارت الوجه القبلى أنها عرفت مصرياً فى الأقصر

كان قنصلاً لثلاث دول معاً ، وما كان يعرف لغة واحدة من لغات الدول الثلاث التي يمثلها .

دار الزمان دورته وبعد ٧٥ سنة واذا الاجانب يتهاقون على الجنسية المصرية ويلحون في طلبها . وبعد أن كان العشرات والمئآت من المصريين يتبرأون من الجنسية المصرية ويتجنسون بالجنسية الاجنبية انعكست الآية وأصبحنا نرى الاجانب هم أنفسهم يتبرأون من جنسيتهم الاجنبية ليتمتعوا بالجنسية المصرية .
حقاً ان الدهر دوارى^(١) .

(١) كتبنا هذه المقالة في جريدة « الاهرام » عدد ٦ فبراير سنة ١٩٤٨

قال الامام الشافعى ليونس بن عبد الله : « يا يونس أدخلت بغداد ؟ قال ، لا . قال . ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس » . وكان الشافعى يقول : « ما دخلت بلداً قط إلا عددته سفيراً إلا بغداد . فانى حين دخلتها عددتها وطناً »

مر بمخاطرى هذا الحوار لما زرت المزارع الملكية بانشاص بعد ظهر يوم الخميس أول ابريل مع أعضاء مؤتمر القطن .

٥٠٠ هـ فدان كانت صحراء جرداء . مواتاً لا حياة فيها ولا ماء . لا دار فيها ولا ديار . فأصبحت جنة تجرى من تحتها الأنهار . فيها ١٤ عزبة يقطنها ٥٠٠ هـ مزارع . بها ٢٠٠٠ دجاجة مع آلات تفريخ حديثة منها ما يسم ١٨٠٠٠ بيضة ومنها ما يسم ٢٤٠٠٠ . فيها ٦٥٠ فداناً موالح و ٣٥٠ فداناً مانجو من أحلى المانجو وألذه وأكبره ، كل مساقيا من الاسمنت . فيها هدارات لتنظيم الري . فيها حديقة نباتية تضم مجموعة عظيمة من الاشجار الخشبية والفواكه النادرة . . . ويعنى القائمون بإدارة هذا التفتيش بترية أنواع مختلفة من الهجن ، منها السودانى والعربى والهندى . وفى التفتيش سلالة نقية من الخيول العربية . وكان فيه ١٧٥٧ فداناً كلها برك تم اصلاحها وزراعتها . وبردمها تخصصت المنطقة كلها من بعوض الملاريا . ومن أغرب ما فى التفتيش مجموعة من الصبار ندر أن يكون لها مثل فى العالم . ومما أقيم فيه قصر ومدرسة ومسجد ومتحف وحمام للسباحة وجبالاية للفرلان وحظيرة للنعام ومزرعة للدواجن حوت أحسن الأنواع .

وجملة القول أن من يزر مزارع انشاص الملكية تخطر بباله كلمة ساكن الجنان الخديو اسماعيل العظيم : « لسنا فى افريقيا . أصبحت مصر قطعة من اوروبا » ^(١) .

(١) كتبنا هذه الكلمة فى « جريدة الاهرام » عدد ٦ مايو سنة ١٩٤٨

كان دوق دورليان Duc d'Orléans ، أخو شارل السادس ملك فرنسا ، أميراً نبيلًا في حربه ، كريمًا في نسبه ، جميلًا في أخلاقه ، له عقل راجح ، وكلمة نافذة تقربه عند الملك زلفى ، إذا ما حضر مجلساً من مجالس البلاط كانت كلمته هي العليا دائماً حسده ابن عمه دوق دى بوجونى Duc de Bourgogne وأضر له السوء فتظاهر بالتودد له ، والزلفى اليه حتى يتحين الفرصة لاغتياله . ساط عليه أعوانه فقتلوه غيلة في ظروف تشبه تماماً في ظروفها ، وفي مقدماتها . وفي ملابسها . وفي وقائعها ، الظروف والمقدمات والملابس والوقائع التي اغتال فيها الصهونيون الكونت برنادوت

ذهبت زوجته الأرملة الى قصر الملك وهي مجللة بالسواد ، تبكى ومعها ولداها الصغيران ، تطلب من الملك الاقتصاص من القتلة ، فلما وقع نظر الملك شارل السادس عليها وعلى ولديها بكى ووعد بأن يثأر لها من الجناة

شعر دوق دى بوجونى بأن الدلائل التي حامت حوله قوية ، وأصبح معروفاً لدى الناس كافة انه هو المحرض على القتل . أراد أن يخفف وطأة الدلائل والشبه التي تدينه ، ويلطف من سخط العالم عليه ، فحضر جنازة قتيله ، وبكى وترحم واستنزل رحمت الله عليه . غير أن محافظ باريس لم تحده هذه المظاهر الكاذبة ، فقال انه ، إذا أذن له الملك في البحث عن القتلة قبض عليهم ، وزج بهم في غياهب السجون . نزل هذا النبأ على دوق دى بوجونى نزول الصاعقة فهرب

أما زوجة القتل فأصابها من هول الفاجعة ذهول ، وكانت تتمم دائماً وتقول (أصبح لاشئ في الدنيا يهمنى ، كل شئ في الدنيا عندى سواء والعدم) :

" Rien ne m'est plus, plus ne m'est rien."

وكان من أثر حزنها على زوجها أن مرضت ، وأخذ المرض يطرد في الشدة الى أن لبت نداء ربها بعد سنة

تظاهر أفراد عصابة شتيرين الارهابية بالترحيب بالكونت برنادوت عندما اعتزم مقابلتهم في القدس يوم الجمعة ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ، وما كادت سيارته تدخل حي اليهود وإذا بأربعة منهم يقتلونه أذرع قتل هو والكونويل الفرنسى اندريه سيرو André Serot ، وخمسة أشخاص آخرين راحوا ضحاياهم منهم ٣ ضباط فراسيون و ٧ جرحى .

ترك الكونت زوجة وولدين (كما ترك دوق دورليان من قبل زوجة - هي المليونيرة الامريكية مانفيل Manville وولدين هما : برتيل Bertil واوسكار Oscar) . والكونت من سلالة الملوك ، أبوه الأمير أوسكار أخو ملك السويد . كما كان الدوق دورليان من سلالة الملوك ، أخوه ملك فرنسا . ولعل موسى شرتوك بكى لما بلغه خبر اغتيال الكونت برنادوت وزملائه . كما بكى الدوق دى بورجونى من قبل ، وبدل أن يمشى شرتوك فى جنازة ضحاياهم كما فعل دوق دى بورجونى ، أناب عنه نائباً صهيونياً حضر حفلة استقبال جثمان القتيلين فى مطار أورلى من ضواحي باريس Aéroport d'Orly

أما حاييم فايزمان Haim Weizmann أول رئيس وزارة فى حكومة اسرائيل المزعومة فانه ضحك لما وقع نظره على برنادوت وهو جثة هامدة كما ضحك كروموويل Cromwell لما وقع نظره على راس شارل الاول ملك إنجلترا بعد اعدامه

ماذا يفعل يا ترى مجلس الامن ، وماذا تفعل هيئة الأمم المتحدة ، اذا ما مثلت أمامهما أرملة الكونت برنادوت ومعها ولداها ، كما مثلت زوجة دوق دورليان ومعها ولداها من قبل أمام ملك فرنسا ، وماذا يفعلان اذا ما مثلت أمامهما أرملة الكونويل سيرو ومعها أولادها ومثل أمامهما أولاد الضباط الفرنسيين الثلاثة ، وأولاد الضحايا والجرحى الآخرين ، وهم يذرفون الدموع مدراراً ولسان حالهم يردد ما سبق ان رددته أرملة الدوق دورليان « أصبح لا شئ فى الدنيا بهمنا بعد اغتيال زوجنا وعميدنا وعائلنا ، كل شئ فى الدنيا عندنا سواء والعدم » ؟ . هل يأذنان لأحد قواد العرب فى الاشتراك مع من يناط به تحقيق جناية القتل مع حق القبض على المجرمين

ومحاكمتهم ؟ أم يترك أمر التحقيق لصهيوني تل أيب فتذهب دماء الضحايا هدرًا ؟
لهذا الاشتراك سابقتان تاريخيتان :

الأولى : في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ اغتال برنزيب Prinzip (وهو طالب صربي) الأرشيدوق فرنسوا فرديناند ولي عهد امبراطورية النمسا والمجر وزوجته في مدينة سراييفو Sarajevo^(١) عاصمة البوسنة ، فاهتزت امبراطورية النمسا لهذا الاغتيال ، وطلبت من حكومة الصرب - من ضمن ما طلبت - أن تتولى هي تحقيق جناية اغتيال الدوق وزوجته ، على أن يطلق لها سلطة واسعة فيها التحقيق والقبض والحبس والمحاكمة والحكم وتنفيذ الحكم .

الثانية : في اغسطس سنة ١٩٢٣ أرسلت ايطاليا بعثة الى بلاد اليونان ، فاغتالها بعض المجرمين ، فطلبت ايطاليا الى حكومة اليونان - من ضمن ما طلبت - أن يشترك ضابط ايطالى من كبار ضباطها في التحقيقات التي يجريها رجال التحقيق اليونانيون .
أليس من العدل أن يشترك عضو من أعضاء مجلس الامن ، أو عضو من أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، (والأفضل أن يكون عربياً ينتدبه مجلس الامن أو تنتدبه هيئة الأمم المتحدة) حتى لا يمالئ رجال اسرائيل الجناة وهم منهم وفيهم ؟
ومن يدفع يا تري دية القتيلين ، وتعويض الضباط الفرنسيين الثلاثة وباقي الضحايا وجميع الجرحى ؟ .

لدفع دية القتيل وتعويض المجنى عليهم ثلاث سوابق تاريخية :

١ - لما قتل صهيوني سكرتير السفارة الألمانية في باريس ، اعتبر هتلر يهود المانيا كلهم متضامنين في نتائج الجناية ، ففرض عليهم أجمعين دية قدرها ٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه دفعت على آخر ملهم .

(١) اسم سراييفو مشتق من كلمة (سراي) كان السلطان محمد الثانى شيد بها فيها عندما كانت البوسنة والمهرسك ملكا لسلاطين آل عثمان ، وقد احتلتها النمسا في سنة ١٨٧٨ ، ولما زارها الارشيدوق فرنسوا ولي عهد الامبراطورية النمساوية وزوجته في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ ، انتهز طالب صربي هذه الزيارة واغتاها ، لانه كان في نية النمسا ضم البوسنة والمهرسك الى الامبراطورية النمساوية على كره من أهل البوسنة والمهرسك .

٢ - ولما اغتال اليونانيون رجال البعثة الإيطالية طالبت إيطاليا حكومة اليونان بدية الضحايا قدرتها بمبلغ ٥٠ مليون ليرة

٣ - وتضامن الجماعة مبدأ شرعه وعمل به المغفور له محمد على باشا في مصر ، اذ أنه اذا ادعى أولياء الدم (على أهل البلد بالقتل وأرادوا تحليف ٥٠ رجلا عينوهم منها وحلفوا لهم بشرط أن يقولوا في اليمين أنهم ما قتلوا ولا نظروا من قتل ولا سمعوا به ولا علم لهم به واكتفوا منهم باليمين فينشد تجب الدية على أهل البلد جميعاً . وتؤخذ منهم وتعطى لأولياء الدم) . وكانت العقوبات الجنائية في بعض الجرائم توقع في عهد (على أخى الجاني عند تعذر توقيعهما على الجاني نفسه ، وتوقع على الابن عند عدم وجود الأخ ، وعلى ابن العم عند عدم وجود الابن ، وعلى أحد أهالى البلدة عند عدم وجود أحد من ذوى قرابة الجاني) وأجازوا معاقبة السارق إذا ثبتت التهمة عليه (فان لم تثبت وانحصرت فيه التهمة فقط عوقب . راجع الأمر الصادر بتاريخ ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٥ و) اذا وقعت سرقة بناحية من النواحي وعجز مشايخ تلك النواحي عن ضبط السارق كانوا جميعاً مسئولين ووجب عليهم أن يدفعوا قيمة ما سرق)

وفي زمن الجاهلية كان العرب يأخذون غير القاتل بالقاتل والجماعة بالواحد والرجل بالمرأة والحر بالعبد . وفي بعض الاحيان كانوا يأخذون الانسان بالحيوان إلى أن جاء الاسلام فقرر ان مسؤولية الجاني لا يتحملها إلا الجاني . وفي التنزيل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) كما منع مسؤولية الجماعة عن جناية الواحد . كما قرر ان العقوبة تقدر بقدر الجريمة وفي التنزيل (وجزاء سيئة سيئة مثلاً . ان عاقبتهم فعاقبوا بمثله ما عوقبتهم به)

نعم اليهود في جميع بلاد العرب بالعدل والامن والهنا والرخاء . كانوا ملاكاً وتجاراً وصناعاً وزراعاً ومهندسين ومحامين وأطباء ، اقتنوا الأطنان الواسعة والعمارات الباسقة . جمعوا بين بسطة العيش والجاه والوجاهة . اتمتهم العرب في الوظائف كبيرها وصغيرها ودرجوا فيها إلى ان وصلوا إلى مرتبة الوزراء . منحهم العرب أعلى المراتب وأرفع النياشين . اذنوا لهم في تأسيس الشركات والبنوك والمعاهد والمعابد والأندية والمستشفيات

والمدارس والفنادق . كل هذا في حماية القوانين ، ورعاية الحكومة . وسماحة الشعب .
أما في أوروبا فقد لاقوا الأمرين وذاقوا المرتين . قُتلوا وسُجنوا وعذبوا وشردوا
وطردوا من بلادهم بولونيا وروسيا وألمانيا وبلغاريا وما إليها . أليس من مصلحتهم
العودة الى ما كانوا عليه في بلاد العرب آمنين . أليس هذا أعود عليهم وقد عرفوا من
آلاف السنين أن سلائق العرب ، وآداب الاسلام ، كلها عدل ورحمة وحلم ونخوة
وسماحة وشجاعة ومروءة وكرم حتى انه يجري التشبيه بهم فيقولون : عدل عمر وكرم حاتم
وحلم الأحنف وحكمة لقمان وشجاعة عمرو بن معدى كرب و... و...

ألا فليعلموا ان العرب تقول :

- « ليس لعرق ظالم حق » (والعرق الظالم أن يجبيء رجل الى أرض قد أحيها
غيره ، فيغرس فيها أو يزرع غصباً ليستوجب به الأرض) وهذا ما فعله الصهبيون
عندما سقطوا في غير مستطهم في أرض فلسطين .

- وتقول أيضاً « لا يجتمع فحلان في اجمة الا قتل أحدهما صاحبه » فكيف تعيش
دولة - وهو اسم على غير مسمى اللهم الا اذا أردنا أن نسمى الأشياء بغير اسمائها
ووصفنا اسرائيل بهذا الوصف تجوزاً - لا تزال جنينا في ضمير الغيب ، في وسط سبع
دول عربية عريقة في الحضارة اقدمها رسخت في فلسطين من آلاف السنين . اما جوار
فلا اذ ليس بعد حرق الزرع جيرة . اما اخاء على طريقة قابيل وهايل فهيات هيات
هيات ، والا كانوا مع العرب كشقي مقص تجمعنا على غير شئ سوى التفرقة .

- كما قالوا « نصف بيت خير من لا بيت » ونصف بيت فيه معنى الضيافة
ولا بيت معناها الطرد والتشريد .

- وأخيراً قالوا « اخر الدواء الكي » وقد ذاقوا الكي في بلادهم الأصلية ،
وسيدوقونه عن يد العرب في فلسطين . ألا ترى انه لما أغار سفيان بن عوف
الأسدي وهو أحد بني غامد ، قبيلة بالين ، على الانبار وقتل حسان البكري عامل

على بن أبى طالب عليها ، خطب الامام على فى جمع حافل بأنصاره ومريديه وقال :
« فوا عجباً من جد هؤلاء فى باطلهم وفشلهم عن حكم .. أيقار عليكم ولا تغيرون ،
وتُغزون ولا تُغزون ويُعصى الله وترضون .. »

فما أشبه الليلة بالبارحة

يا عقلاء اليهود « الحلال بين والحرام بين » أنتم اخواننا فى الوطن والوطنية .
انصحو الصهيونيين الارهابيين اعداءكم واعداًنا ، بترك أوهامهم وأحلامهم ، ليكونوا
اخواناً لكم ولنا . اليست العبرية فيها العربية ، والعربية فيها العبرية ، اتحدنا قلباً
فاتتحدنا قلباً (١)

يدعى الصهيونيون أن فلسطين وطنهم وأن أهلها منهم وإن العرب دخلاء عليها وعليهم . فهل هذا صحيح ؟ . اسمع واحكم :

غزة - ولد فيها الامام الشافعى والامام الشافعى هو محمد بن ادريس وهو عربى قرشى . رحل الى الامام مالك وأخذ عنه العلم ثم وفد الى بغداد ولقى علماءها ثم جاء الى مصر سنة ١٩٩ وسكن الفسطاط وفيها توفى ودفن فى مدفنه المعروف بالامام الشافعى سنة ٢٠٠

وفى غزة تألفت الحكومة الجديدة وأعلنت استقلال فلسطين واعتبارها وحدة لا تتجزأ .

عسقلان - ولد فيها القاضى الفاضل وهو أبو على عبد الرحيم البيهقى من أصل عربى . وقد حضر الى مصر ثم قصد الاسكندرية ولزم قاضيا (ابن حديد) ولما نبغ استدعاه (الظافر) الخليفة الفاطمى الى القاهرة . ولما أسقط صلاح الدين الايوبى الدولة الفاطمية اتخذ القاضى الفاضل وزيراً ولثقته به كان اذا خرج لمحاربة الصليبيين أنابه عنه فى أمر المملكة وقد ساس الامور خير سياسة^(١) . وهو الذى أنشأ فى القاهرة (المدرسة الفاضلية) وكان بها خزانة كتب تحوى ١٠٠٠٠٠ مجلد وقد توفى فى القاهرة فى سنة ٩٥٦

الرملة - من أهل الرملة من بلاد فلسطين أبو الفتح محمود بن الحسين . خدم سيف الدولة ابن حمدان ولقب نفسه بكشاجم . سئل عن ذلك فقال :

(١) ولما عاد بعد انتصاره قال كلمته المشهورة « لا تظنوا انى ملكت البلاد بسيوفكم بل يقدم القاضى الفاضل » . يقابلها الكلمة الشهيرة الاخرى التى قالها فردريك الثانى ملك بروسيا : "C'est le maitre d'école qui a gagné la victoire"

وهذا المعنى قول أمير الشعراء احمد شوقى
كاد المعلم أن يكون رسولا
يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُساً وَعُقُولاً

الكاف من كاتب
والشين من شاعر
والألف من أديب
والجيم من جواد
والميم من منجم
وكان كذلك .

فقول الصهيونيين بأن فلسطين ليست عربية وأن أهل فلسطين ليسوا من العرب
قول بعيد عن الواقع بعد الكذب عن الحق . هذا من جهة .

عاش اليهود دائماً مع العرب في وفاق . ففي العصر الجاهلي كان في جزيرة العرب
مستعمرات يهودية من أشهرها يثرب - وهي التي سميت بعد هجرة النبي بالمدينة المنورة -
عاشوا فيها في وئام بين قبيلتي الأوس والخزرج . وفي ضواحي المدينة كانوا في فذك
وفي خيبر . وكان يهود يثرب ثلاث قبائل بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة . وقد
انتشروا في اليمن أيضاً واشتهر منهم (ذو نواس) أحد ملوكهم . كما انتشروا في كندة
وكنانة واشتهر من شعرائهم السموأل ابن عدياء .

وبعد ظهور الاسلام ظل اليهود متمسكين بدينهم فأقرهم النبي على دينهم وأمنهم
على أموالهم واكتفى بأن اشترط عليهم أن لا يعينوا أعداء المسلمين عليهم وأن يدافعوا
عن المدينة كما يدافع المسلمون وعلى اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . فهل يحق
 لليهود الآن وبعد ١٣٦٧ سنة أن يدعوا أن (مدينة) الرسول وفذك وخيبر
وبعض بلاد اليمن هي لهم الآن بدعوى انها كانت مستعمرات لهم في غابر الزمان
ويجب أن ترد اليهم ؟ .

نعود الى غزوة وعسقلان والرملة وغيرها . ماذا كانت من ألفي سنة :
غزوة - استولى عليها اسكندر الأكبر بعد أن حاصرها شهرين وكان حاكمها
بتس Bétis قد دافع عنها دفاع الأبطال ولم تسقط في يد اسكندر المقدوني الا بعد
أربع هجمات عنيفة . وقد كانت مركز مطرانية مسيحية لرومن والأرمن ثم دخلت في

حوزة الرومان في سنة ٣٣٢ قبل ميلاد المسيح الى أن استولى عليها العرب في سنة ٦٣٢ ميلادية (أى من ١٣١٦ سنة) ثم تداوها سلاطين مصر وسلاطين آل عثمان الى سنة ١٩١٨ . فأين كان اليهود طوال هذه السنين ؟ .

عسقلان - عرفت الرخاء في زمن العرب حتى ان المؤرخين سموها « عروس الشام » . ملكها الاغريق ثم الرومان ثم العرب ثم استولى عليها الصليبيون في الحرب الصليبية الأولى وأنشأوا فيها أبرشية وصارت مدينة مسيحية في سنة ١١٥٣ ودخلت في دائرة مملكة اورشليم تحت حكم جودفروا دى بويون الثالث ملك اورشليم Godefroy de Bouillon, roi de Jérusalem, الى أن طردهم منها صلاح الدين الأيوبي في سنة ١١٨٧ .

الرملة - تأسست في سنة ٧١٦ وقد أنشأ الصليبيون فيها أبرشية وبقيت تحت حكم الصليبيين الى أن ردها صلاح الدين الى العرب ثم ملكها المماليك ثم آلت الى آل عثمان .

بيسان - يرجع تاريخها الى عهد تحوتمس الثالث وامينوفيس الثالث وسبقى الاول ورمسيس الثالث (أى في المدة بين سنة ١٥٠٤ وسنة ١١٦٦ قبل ميلاد المسيح) اذن فلسطين كانت جزءا من المملكة المصرية القديمة من ٣٤٥٠ سنة

ومن المصادفات الغريبة جداً ان هجوم الصليبيين على القدس بقيادة جودفروا دى بويون Godefroy de Bouillon, roi de Jérusalem وقع في ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ في الساعة الثالثة بعد الظهر وهذا اليوم بالذات وهذه الساعة بالذات توافق اليوم والساعة التي توفي فيها السيد المسيح من قبل بألف سنة و ٩٩

فأين كان اليهود طوال هذه الأحقاب من فلسطين الضيقة ؟ كانوا في بولونيا وروسيا وألمانيا وبلغاريا وأمريكا وغيرها من بلاد الله الواسعة .

في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ (أى قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بسنة) استصدر اليهود من مستر بلفور وزير خارجية إنجلترا وعدا بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ (أى بعد ثلاثين سنة) قرر مجلس الأمن تقسيم فلسطين بين العرب والصهيونيين .

وفي ١٦ مايو سنة ١٩٤٨ انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين .
وفي أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ أعلن العرب في مدينة غزة استقلال فلسطين واعتبارها كلها وحدة لا تتجزأ .

كانت النتيجة أن لا العرب قبلوا التقسيم إطلاقاً ولا اليهود قبلوا التقسيم بالحدود التي عينها مجلس الأمن ونشب القتال بين الفريقين ولا يزال ناشباً حتى الآن على الرغم من الأمر بوقف القتال ^(١) وكانت آخر فاجعة اجتراء رجال عصابة شترن الارهابية الصهيونية على اغتيال الكونت برنادوت السويدي الذي يمثل ٥٨ دولة واغتيال الكولونيل سيروالفرنساوي الذي كان يعاونه في تأدية مأموريته . وقتل وجرح آخرين ولا يزال الخصمان حتى الآن مشتبكين في أورشليم وفي غير أورشليم . قتل وجرح وتخريب وتشريد وهرج ومرج وسلب ونهب على مرأى من مندوى هيئة الأمم المتحدة ومسمع من رجال ٥٢ دولة . والككل عاجزون عن وضع حدّ لعدوان الارهابيين الصهيونيين على العرب وعلى البلاد العربية . ولعلّ أبلغ نعت لعصابة شترن Stern مانعهم به الدكتور رالف بونش Dr. Ralph Bunche نائب وسيط هيئة الأمم المتحدة عندما قال انهم Gang Stern (أى بلطحية مجرمين) بدل (Bande Stern عصابة شترن) وفي تقرير آخر قال انهم (عصابة مجرمين . (Une bande de criminels .

اما دولة اسرائيل المزعومة فاصدق وصف لها انها (L'ombre d'un nom) أى (خيال اسم) .

أنا لا أكره اليهود بل أكره الصهيونيين وفرق بين الاثنين وقد قلت غير مرة :
"Je ne suis pas antisémite, mais je reste antisioniste, ce qui n'est pas la même chose."

(١) وفي هذا قال مسيو أندريه موتر André Mutter أحد أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بفرنسا :
"C'est ainsi que les Arabes et les Juifs rejettent aujourd'hui le rapport Bernadotte. Le partage, c'est la guerre continuelle, c'est l'asphyxie cruelle."

هل فلسطين في حرب ؟ . كلا . لأن الأمر بوقف القتال لا يزال قائماً . هل هي في حالة سلم ؟ . كلا . لأن الدبابات والمدافع والبنادق والطائرات لا تزال تدوى وتعمل عملها الخراب . قتل وضرب وتدمير وتخريب وتشريد ولا يزال ٧٦٦٠٠٠ فلسطيني عربي مشرد خارج بلاده^(١) تفتك بهم أمراض السل والتيفوئيد والملاريا .

(١) — وما آخر احصاء :

١٩٦٠ ر ١٩٦٠ في شرق الاردن ورام الله والقدس واريحه
٢٠٠ ر ١٩٤٠ في المنطقة التي يحتلها الجيش المصري بفلسطين وبالغزيرة
٧٢ ر ١٩٢٢ في لواء السامرة والمنطقة التي يحتلها الجيش العراقي (نابلس وطولكرم وجنين)
١٢٠ ر ١٢٠٠ في سوريا
١١٧ ر ١١٧ في لبنان
٤٠٠ ر ٤٠٠ في بغداد
٣٠٠ ر ٣٠٠ في القاهرة

ومن هؤلاء جيماً حوالي ٧٥ ٪ من النساء والاطفال . يتفق على المحتاجين منهم ٤٢٠٠٠ جنيه في كل يوم . وتعاونت جميع الدول العربية على مدهم بالمال واللباس وبالعلاج وانضمت اليها حكومات فرنسا وبريطانيا واليونان وسويسرا وايطاليا والنرويج وتركيا وبورما واستراليا وجنوب افريقيا ومؤسسة الشرق الادنى والصليب الاحمر اليوناني والخدمة الكنسية وهذا عدداً ما ترسله اليهم ايرلندا واندونيسيا ونيوزيلاندا وبلجيكا

وقد قرر مجلس الامن مدّ هؤلاء البؤساء بمبلغ ٦٠٠٠٠٠ ر ٦٠٠٠٠٠ دولار اعانة لهم وفي الوقت نفسه تدرس اللجنة الاقتصادية والاجتماعية في هيئة الامم منح العرب اللاجئين ٢٩٥٠٠٠ ر ٢٩٥٠٠٠ دولار . وشركة النفط العراقية والشركات المندمجة فيها أرسلت إليهم ١٨٠ ألف غطاء . وأخذ المكتب العربي في لندن يتلقى ملابس وأغطية وأموالاً وهدايا تلبية لنداء الذي أصدرته لجنة فلسطين التابعة لرابطة الطلبة العرب . واشترت لهم هيئة رعاية الأطفال الدولية ١٦٠٠٠٠ بطانية . وتُسند جهود للحصول على ملابس من الدول تسكن نصف مليون لاجيء مع الحصول على ٤٠٠٠ طن من دقيق القمح شهرياً . واللجنة الدولية للصليب الاحمر جمعت ٣٥٠٠٠٠ دولار لتنفق في أعمال الاسعاف وشراء المهمات والأدوات الطبية . وجمعية الصليب الاحمر الامريكية جمعت ٣٠٠٠٠٠ دولار واشترت مواداً مختلفة بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ دولار لاثابة اللاجئين . كل هذا يدل على هول الفاجعة التي نزلت باللاجئين العرب كما يدل على الشعور العام الذي هز العالم من جراء فظائع الصهيونيين .

ولعل أبلغ نداء ما نشره صاحب السيادة الأسقف آرثر هيوجز معتمد قناسة البابا لدى حكومة جلالة ملك مصر في جريدة (هيرالد الكاثوليكية) ناشد فيه العالمين القديسين والجديدين بأن يدوا يد المساعدة للاجئين العرب الذين شردهم الصهيونيون من وطنهم فلسطين . قال فيه وما أصدق ما قال : « ان حالة ألك ٦٠٠٠٠ ر ٦٠٠٠٠ لاجيء عربي بلغت حد السكارثة . ان البلاد العربية ضحت كثيراً ولا تزال تضحي أكثر لاغاثتهم الا أن الأمر يفوق مقدرة أحسان المحسنين كما يفوق مقدرة ميزانية بلاد الشرق الاوسط ويحتاج لمعونة دولية ذات نطاق واسع من جميع البلاد »

الأطفال منهم أصيبوا بالكساح والهزال وما إليها من الأمراض الخبيثة . حالتهم سيئة جداً وتتطور من سيء الى أسوأ . اذن لا حرب ولا سلم بل (هدنة على دخن) - أى سكون لعله لا يصلح - لأن قرار التقسيم لم يرض العرب لأنهم لا يرضون بتقسيم بلدهم وبإشراك الأجنبي معهم . ولم يرض الصهيوينيين لأنهم يريدون نصيب الأسد . حسبك أن تعرف أنهم يريدون اسكان مليون يهودى فى « النقب » وحدها كما يريدون انتزاع « العقبة » من مصر لتكون منفذاً لتجارتهم فى الشرق الاقصى وبعد ما ترسخ أقدامهم فى فلسطين وفى النقب وفى العقبة يسيطرون بعد توالى الزمن على البحر الاحمر ويهددون الحجاز واليمن والحبشة . (١)

«سلوا أين ذهبت ألسنة ١٢٠٠٠٠٠ دولار الباقية من الحساب الذى اعتمدته جمعية (الانترناشيونال) لرعاية والتعمير . ولماذا لم يستخدم هذا الرصيد لمساعدة اللاجئين العرب . فاذا سألتهم كشف لك الجواب عما لا يزال فى طي الكتمان . أن خمس عدد اللاجئين هم من المسيحيين فكانت النتيجة ان اصبحت المناطق الكاثوليكية ببلاد دار ولا ديار . خذ مثلاً ما حدث فى حيفا فان اليهود يرتكبون الفظائع على الكنائس والأشياء المقدسة والصليبان وقنايل العذراء . والدير البطريركى فى «بيت حالا» احتله اليهود بعد أن ضربه المدافع . وأملاك الابرار الروحانيين الساليزيين ضربت بالمدافع أيضاً فخرج بعض الرهبان . وقد أكد لى أوس قسيس فلسطين ان اليهود يبدون بنوع خاص كراهية للمعاهد الكاثوليكية . « ان عدم وضع حل سريع لمشكلة فلسطين والعراقيل الموضوعة لعودة اللاجئين الى بلادهم أمر مقصود ومدير عمداء من قبل اليهود لاستئصال شأفة العرب والمسيحيين من فلسطين . «أنى أريد أن ألقت أنظار القراء الى ان فصل الشتاء فى فلسطين وفى شرق الأردن قاس جداً من شهر نوفمبر الى أواسط مارس فالحاجة ماسة لارسال بأسرع وقت الى المشتددين بطاطين وكساوى وأدوية ومؤونة . وانى أشعر بخيبة أمل ازاء عدم اجابة الجمهور لنداءاتنا وانى مندهش من عدم اكترائه لهذه الحقائق وجود قلبه ورضائه ترك ٦٠٠٠٠٠ لاجئ من المسلمين والمسيحيين معرضين للموت الاحمر واللبؤس والشفاء وكل هذا ليحل محلمهم ٦٠٠٠٠٠ يهودى . ان مبادئ الانسانية وأصول الاحسان المسيحية تفرض على السكافة مساعدة اللاجئين لا فرق بين مسقطهم ودينهم ولا يجوز ترك المسلمين والنصارى الذين يخافون الله ازاء شردمة من اليهود أغلبهم ملحدون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . ولو أنى لا أتمنى الشر لأحد الفريقين الا أنى لا أبقي مكتوف اليدين امام ما يقاسيه الفريق الآخر من موت وبؤس وشفاء . »

من هذا — ومن هذا وحده — يمكنك أن تقدر هول الكارثة التى حلت بعرب فلسطين من جراء وعد بلفور المشؤم ومن قرار تقسيم فلسطين . ومن فظائع الصهيوينيين

(١) ألم يكتب لورد سيدنهام Lord Seidenham فى جريدة « المورننج بوست » Morning Post فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٣ بان تمهدات لورد اللانبي للشرىف حسين لا تتفق مع الواقع وان مصالح العرب لم تراعى على الرغم من ان حك الاتتداب البريطانى ينص على وجوب احترام حقوق ومصالح العرب . ثم زاد فقال أن أحد زعماء الصهيوينيين وهو (اسرائيل زانجويل Israel Zangwill) قد أعلن بأن سياسة الصهيوينيين لا تتحقق الا اذا طوى العرب خيامهم ورحلوا من بلادهم واستقروا فى بلاد أخرى — راجع جريدة البورص عدد ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٢٣

تذكرنى هذه الحالة الشاذة التى تجمع بين التقيضين - حرب وسلم ولا حرب ولا سلم - بسابقة تاريخية تمت الى مصر بصلة ولا يعض عليها سوى ٦٦ سنة .

ذلك انه فى خلال شهرى يونيه ويوليه سنة ١٨٨٢ نشبت الثورة المصرية التى تزعمها احمد عرابى باشا فجرت مفاوضات بين انجلترا وفرنسا وتركيا وبعض دول أوروبا لأخادها . اتفقت انجلترا وفرنسا على أن تتوليا معاقبة القلاقل التى حدثت على أن ترسل كل واحدة منها أسطولا الى ثغر الاسكندرية التى اندلع منها لهيب الثورة فى ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ . فطلب مسيو فرايسينيه Freycinet كبير وزراء فرنسا من البرلمان اعتماد ٤٠ مليوناً من الفرنكات كما طلبت وزارة انجلترا من البرلمان الأذن لها باعتماد مبلغ ١٣٠٠٠٠٠ ر. جنيه . وعندما كان الاسطولان فى طريقهما الى الهدف جرت فى البرلمان الفرنساوى مناقشات حادة جداً انتقد فيها بعض النواب تصرفات كبير الوزراء انتقاداً مرّاً وطعن فيه البعض الآخر طعناً مقدعاً، تضاربت الآراء وكثرت الأقاويل . البعض يرى تدخل فرنسا والبعض يجذ عدم التدخل وساد هرج ومرج فى البرلمان . وبينما البرلمان فى حالة فوضى اشرأب مسيو كليمانسو الذى يسمونه « النمر » وشهرته فى اسقاط الوزارات الفرنساوية معروفة وارتجل خطبة طنانة رنانة هزت أركان البرلمان وزلزلت الوزارة زلزالا انتهى بسقوطها . وها ما قاله : « توجد دائماً سياستان الا ان مسيو فرايسينيه اخترع سياسة ثالثة . هل نحن فى سلم ؟ . كلا . بما أننا نرسل جنوداً الى مصر . هل نحن فى حرب ؟ . كلا . لانه من المفهوم ان الجنود لا يحاربون . اذن لا سلم ولا حرب . أو انه سلم حسب هوى من يريد السلم وحرب حسب هوى من يريد الحرب . وهى سياسة جمعت سينات السياستين المعروفتين وليست لها حسنات احدهما أو كلتاها » .

وها الأصل الفرنساوى :

“ Il y avait deux politiques ; M. de Freycinet en a inventé une troisième : ” Est-ce la paix ? Non pas, puisque nous envoyons des troupes en Egypte. Est-ce la guerre ? Pas davantage, puisqu'il est entendu qu'elles ne se battront pas. Ce n'est ni la paix, ni la guerre, ou c'est la paix ou la guerre suivant le goût des orateurs ou des auditeurs. Pour

mieux dire, c'est une politique qui présente les inconvénients des deux autres politiques, et qui n'a les avantages d'aucune."

ألا ينطبق كلام مسيو كليمانسو Clémenceau على حالة فلسطين الآن . هل فلسطين في حالة حرب . كلا . هل هي في حالة سلام . كلا . فيها سُوى الحرب وليس فيها حُسنى السلم .
حنانك يارب ما (١)

(١) كتبنا هذه المقالة في جريدة « الاهرام » عدد ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٨

سلام على ابراهيم^(١)

حروب البطل ابراهيم باشا في جزيرة العرب ، وفي السودان ، وفي بلاد اليونان ، وفي فلسطين ، وفي سوريا ، وفي لبنان ، وفي الأناضول ، وفي كريت ، معروفة بوقائعها وتواريخها . إلا أن حياة الرجال العظام كثيراً ما تتخللها حوادث قد تكون فيها من العظات والعبر أكثر مما في الحرب نفسها ، وقد تكون فيها من النوادر ما يكشف عن أخلاق الرجال وخصائصهم ومقوماتهم أكثر من غيرها ، وقد يكون فيها من الفكاهات للقارىء أشبه شئ ، بالفكاهة للأكل . وانروها طائفة منها :

- هو ابراهيم بن محمد على بن ابراهيم بن عثمان بن ابراهيم . ولد في «نصرتلى» بدائرة درو القريصة من «قواله» في خلال سنة ١٧٨٩ ميلادية (سنة ١٢٠٤ من الهجرة) ، وقد حضر إلى مصر هو وأخوه طوسون في خلال شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٢٠

- وقد ربي محمد على ابنه ابراهيم تربية عالية وثقفه تثقيفاً راقياً . وكان ابراهيم يجيد اللغة التركية واللغة الفارسية واللغة العربية والمأمة من اللغة الفرنسية . وقد قرأ كتباً كثيرة في التاريخ مقتدياً في ذلك بأبيه الذي قرأ كتباً على نابليون وغير نابليون . ومن أدبه انه اذا دخل على أبيه قبل يديه . ولا يجلس إلا إذا أذن له والده في الجلوس . ولا يسمح لنفسه بالتدخين في حضرة والده

- وكان ابراهيم باشا ديموقراطياً إلى أقصى حدود الديموقراطية . كان يطوف في شوارع القاهرة والاسكندرية على قدميه ليتفقد أحوال الناس عن كثب . وكان يدخل المحلات التجارية الافرنجية والبلدية ويشترى منها ما يشاء . ولما رأى أسعار الخضر والفواكه عالية أمر بتسعييرها لتكون في متناول الطبقات الفقيرة . وكان يزور

(١) هي الكلمات الثلاث المنقوشة على خاتم ابراهيم باشا

بنفسه المستشفيات ويواسى المرضى . وهو صاحب الفضل فى تأسيس مستشفى الازبكية وأمر بأن يكون جميع أطباءه من المصريين . وكان ينام على سجادة ويخدمه خادمان فقط . وكان يهوى الزراعة ويبدل جهوداً جبارة لتحسين حال الفلاح المصرى . ألم يقل سعيد باشا أخوه بعد وفاته « يظهر ان الله سبحانه وتعالى لا يريد الخير للفلاح لأن الشخص الوحيد الذى يعنى بأمره هو أخى ابراهيم . . . » . وفى سنة ١٨٣٦ ظهر الجراد فى منطقة حلب وكان بكثرة تنذر بالفتك بزراعة الفلاحين فشر عن ساعد الجد وعهد إلى ٨ أوط من المشاة لبادته . وبعد عودته من اليونان خلع العمامة ولبس الطربوش فاقتدى به الموظفون والمستخدمون . وهو الذى أبطل عقوبة الاعدام وأمر بأن لا يحاكم أى شخص إلا بعد سماع دفاعه

- فى رمضان سنة ١٢١٤ سافرت المغفور لها والدة ابراهيم باشا إلى الحجاز لتؤدى فريضة الحج وتزور الروضة النبوية المطهرة وكان ركبها مؤلفاً من ٥٠٠ رجل تحمل خدمها وحشمها ومتاعها . وفى « منى » التقت بزوجها محمد على باشا الكبير . وبالنظر لجلال موكبها وعظمة الحرس الذى كان يحرسها وخامة الخيمة التى نزلت فيها سماها أهل الحجاز « ملكة النيل » .

- وفى ٣ سبتمبر سنة ١٨١٦ اعتزم ابراهيم باشا السفر إلى بلاد العرب لقمع ثورة الوهابيين وقبيل سفره ذهب إلى والدته فى يوم ٣ سبتمبر سنة ١٨١٦ ليودعها فعاقدته ووضعت بيدها الكريمة فى عنقه عقداً من الجواهر الثمينة وقالت له : « لا تنزع هذا العقد من عنقك لا فى الليل ولا فى النهار حتى تصل إلى الحجاز وتضعه بيدك على ضرب من رسول الله » ففعل .

ولشدت ما سرت بهذه الهدية الثمينة شيخ الحرم وهو أغا حالك السواد . فبسط كفيه إلى السماء ودعا الله جهره قائلاً :

« أيها النبي الكريم : ها هو ابراهيم باشا بن محمد على قد خرّ ساجداً أمامك ، وقد قدم إلى ديارنا ليهلك أعداء دينك فأيده يا الله بروح من عندك وهبه القدرة على تأييد شرعك ونصرة كتابك المقدس وتمزيق شمل العصاة الوهابيين » .
وأكل القائد الشاب هذا الدعاء بقوله :

« أيها النبي الكريم : لقد أعانني الله أنا إبراهيم ابن محمد على باشا على استرجاع
البلدين المقدسين مكة والمدينة . وجئت ضريحك الشريف ضارعاً متوسلاً أطلب
المعونة فيما أنا مقدم عليه من الحرب والكفاح . فأجعل اللهم النصر حليفي . ووفقني
إلى معرفة مقاصد العصاة . فإن أعدائي هم أعدائك . وأعني على تمزيق شملهم وتشيت
جموعهم فإني إن أدخل سيفي في غمده حتى أفترق جمعهم » .

ثم تملك إبراهيم روح الحماس الديني فأقسم « أنه يعتق جميع من ملكت يمينه
من الأرقاء بيضاً أو سوداً » .

- وبعدها انتصر إبراهيم على الوهابيين عاد إلى مصر ونزل في سراي شريف بك
الكائنة بجزيرة الروضة (وشريف بك هذا هو السيد محمد شريف باشا الكبير ابن
هاويش هانم (حواء) اخت حرم محمد علي باشا الكبير وهو مدفون في مدافن العائلة
وقد حضر إلى مصر وعمره ١٨ سنة) . وفي اليوم التالي - وكان يوم الجمعة - دخل
إبراهيم مدينة القاهرة باحتفال عظيم جداً وقد أراد والده محمد علي باشا أن يختص
ابنه إبراهيم وحده بهذا الاحتفال فانزوى في جامع الغوري وأطل من إحدى نوافذه
ليشاهد بنفسه الموكب الفخم الذي أعد لابنه . فكانت لفتة سامية من الأب
إلى الابن

- كان السلطان محمود خطر بباله - ليزيد جنوده حماسة - أن يتولى هو بنفسه
قيادة الجيش العثماني وأن ينشر بريق النبي ويعلم الجهاد على محمد علي باشا وإبراهيم
باشا عندما زحفا على بلاد الأناضول . ولكن المشايخ ورجال المايين أقنعوه بالعدول
عن هذه الفكرة بدعوى انه « لا يليق بأمر المؤمنين وسلطان السلاطين أن ينازل
تابعاً من أتباعه » .

- لما انتصر إبراهيم باشا على جيوش السلطان محمود واحتل يافا في ٨ نوفمبر
سنة ١٨٣١ . ثم حيفا في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ حضر اليه زعماء قبائل عرب
نابلس وطبرية والقدس وقد موأله الطاعة . فأثار خضوعهم غضب السلطان محمود فجيش
جيشاً جعله تحت إمرة حسين باشا . ويزيد حميته وحماسته أصدر له فرماناً بتعيينه والياً
على مصر وجدة وجزيرة كريت مكان محمد علي باشا ، فزحف حسين باشا بجيش لجب .

وفي أثناء زحفه على مصر قيل له ان حصانه انقطع عن شرب الماء فأجاب بكل وقاحة (ان حصانه آلى على نفسه أن لا يشرب إلا من ماء النيل) . إلا أن الله وإبراهيم خيبا ظنه فانكسر جيشه في بيلان ولم تطأ قدمه أرض مصر ولم يشرب حصانه قطرة من ماء النيل .

— كان جنود الجيش العثماني أخلاطاً من الكرد والترك والأرمن واليهود والصرب والبُلغار والروم والشوام والعراقيين والالبانيين والفلسطينيين والكثير منهم ما كان مدرباً وليست له حمية وحماسة الجندى الذى يدافع عن أرض الوطن وكان قواد الجيش العثماني من غير رجال الحرب وكانوا يتبعون مشورة طائفة من المشايخ الذين كانت لهم عقلية خاصة ورسخت في نفوسهم عقائد خاصة :

(١) حدث انه في يوم ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ (قبيل وقعة نزيب المشهورة) عبر الجيش المصرى كوبرى نهر مزار ولما أتم حركة الالتفاف أشار الضابط الألمانى فون مولتكى على القائد التركى بالتقهقر الى بلدة بير تغاديا من وقوعهم فى الشرك إلا ان السر عسكر حافظ باشا عارض معارضة شديدة فى التقهقر وقال قوله المشهورة : « ماذا يقول عنى التاريخ اذا تقهقرت » وانحاز المشايخ الترك الى رأيه وقالوا « ان الترك لا يولون الأديار أبداً . يشهد التاريخ أنهم يتقدمون دائماً ولا يتقهقرون » فكانت النتيجة كارثة حلت بالجيش التركى ووقع معسكر حافظ باشا السر عسكر فى أيدي ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى وغنم المصريون كل ما كان فى المعسكر من خيام وأثاث ومهمات وأوراق وتقود (٢٤٠٠٠ جنيه) ونياشين وخرط ووثائق وأسلحة وأسرى سبعة باشوات و ١٥٠٠٠ جندي . هذه هى نتيجة مشورة المشايخ ونتيجة عقلية السر عسكر .

الحديث ذو شجون يذكرنى بثلاث وقائع مهمة :

الأولى : قبل تلاحم الجيش المصرى بالجيش العثماني دعا سليمان باشا الفرنساوى كبار الضباط الى خيمته وبعد ما زودهم بالنصائح والتعليمات قال لهم : « إلى اللقاء غداً الساعة الثالثة بعد الظهر فى خيمة حافظ باشا » وقد كان . إذ انه بعدما انتصر الجيش المصرى اجتمع كل ضباط الجيش المصرى فى خيمة حافظ باشا ومنها

أرسل ابراهيم باشا إلى على بك برهان خازنداره في مصر يبشره بالنصر ويقول له :
« أكتب اليك هذه الكلمات وأنا في خيمة حافظ باشا . . . وقد وجدتها كما
تركها تماماً » .

الثانية : وصف مسيو فنترينييه Vingtrinier مؤرخ حياة سليمان باشا
الفرنساوي ابتهاج المصريين بانتصارهم على العثمانيين في معركة نزيب فقال انه لما
اجتمع الضباط في خيمة حافظ باشا دخل عليهم ابراهيم باشا وهو يتהלل فرحاً وبشراً
وعانق سليمان باشا وقبله في جبهته وفي فمه وصاح قائلاً : « اليوم أقبل بطلاً من
الأبطال . ان كل ما في هذه الخيمة من حقه واستحقاقه » .

الثالثة : وبعد ما عاد الجند الذين أرسلهم سليمان باشا لاقتفاء أثر فلول الجيش
العثماني ذهب سليمان باشا فرنساوي الى خيمة ابراهيم وبمجرد ما تقابلا قال سليمان
باشا إلى ابراهيم باشا : « بارك الله في سيفك وجعله قوياً بتاراً كما كان اليوم في
نزيب » . فأجابه ابراهيم باشا : « ما دمنا معاً سيكون كذلك يا أخى » ثم تعانقا بين
العتافات والزغاريد .

(٢) وقبل اشتباك الجيش المصري بالجيش التركي في تلك المعركة هبت بعض
الكتائب التي جندها ابراهيم باشا من غير المصريين الى الهروب ليلاً فأشار الضباط
الالمان على قواد الترك بأن ينتهزوا الفرصة ويهجموا . إلا أن العلماء والمشايخ الترك
عارضوا بدعوى انه لا يليق بمجنود أمير المؤمنين أن يتشبهوا باللصوص ويقبلوا في
(ظلمات الليل) . أزاء جهود الجيش التركي صال ابراهيم باشا على الهاربين وأعمل فيهم
سيفه كما صوب سليمان باشا فرنساوي مدافعه عليهم فعادوا إلى خطوط القتال وهبت
جموعهم على الجيش التركي وهزموه شراً هزيمة . فتأمل .

(٣) وها مثل آخر من عقلية أحد الولاة . خاطب محمد على باشا والى عكا عبد الله
باشا بلفظة « والدنا » فحمد عليه عبد الله باشا وقال كيف يخاطبني بلفظة « والدنا »
بينما يخاطب الأمير بشير حاكم جبل لبنان بلفظة « أخينا » . ولم يفطن أن للسنة
أحكاماً . صغارة نفس ! .

(٤) حتى السلطان محمود كان يلجأ أحياناً الى وسائل تدل « على صغارة نفس ». لما استفحل أمر محمد على واتسع سلطانه وارتفع مقامه أراد السلطان أن يفرق بين الأب محمد على وابنه ابراهيم فلم يجد وسيلة لبلوغ مأربه سوى أن منح ابراهيم لقب (أمير مكة) جزاء له على انتصاره على الوهابيين وطردهم من الحرمين . وكان هذا اللقب أعلى ألقاب الشرف في سلطنة آل عثمان يقدم صاحبه في التشريعات على جميع وزراء الدولة وتكون له الرئاسة الدينية عليهم جميعاً بما فيهم محمد على باشا نفسه . الا ان هذه الحيلة كانت حيلة مكشوفة فلم يعبأ بها محمد على ولا ابراهيم وظل الابن خاضعاً للخضوع كله لأبيه . مثال آخر : بعد انتصار الجيش المصرى فى معركة نزيب عثر ابراهيم باشا ضمن أوراق حافظ باشا السر عسكر على تعليمات أعطاهها له السلطان وفي البند الخامس منها قيل له ان سليمان باشا الفرنساوى غير راض عن الحالة وبما انه أجنبي الأصل فارسلوا اليه ضابطاً فرنسائياً ليستميله اليها .

(٥) ولأن محمد على يعرف من أين تؤكل الكتف استعان فى أوائل حكمه للاحتفاظ بسيادته على مصر بالرشوة . كان القبطان باشا رجلاً شراً ، فلا يتراس بعض المال من محمد على طالب منه أربعة آلاف كيس (عبارة عن ٢٠.٠٠٠ جنيه) وهدد باستخدام نفوذه لمساعدة أحد أعداء محمد على . فلتفادى الاصطدام بالقبطان باشا وبأحد أعدائه وعد محمد على بإرسال المبلغ . الا ان القبطان باشا لم يكتف بالوعد فاضطر محمد على باشا بأن يرسل ابنه ابراهيم رهينة الى الاستانة ومعه الهدايا الثمينة وأن يبقى بها حتى يوفى محمد على المبلغ المطلوب ، وعلى ذلك أبحر ابراهيم الى الاستانة فى شهر اكتوبر سنة ١٨٠٦ وبقى بها الى أن سدد محمد على المبلغ الموعود .

(٦) كانت الخلاصة ان الجيش العثمانى كان جنوداً بلا قواد وقواداً بلا جنود . يذكرنى هذا بكلمة شهيرة قالها يوليوس قيصر Jules César عندما همّ بحاربة خصمه أنطوان « هيا بنا نتصر على جيش ليس له قائد ثم نتصر على قائد ليس عنده جيش » "Allons vaincre une armée sans général, puis nous vaincrons un général sans armée."

(٧) وها حادث يؤيد ما تقول : وقع فرجاني شيخ عرب الهنادى أسيراً فى قبضة الترك فدعاه السر عسكر وسأله رأيه فى الجيش التركى والجيش المصرى فضحك فرجاني

وقال له « أتريد أن أخبرك بالحق ان معسكر ابراهيم باشا معسكر جنود .
اما معسكركم فمعسكر حجاج . . . » .

- ومن أطف ما يروى ان ابراهيم باشا ابن محمد على دعا بعض الفرنسيين
اتناول الغداء معه في القناطر الخيرية يوم ١٥ أغسطس سنة ١٨٢٤ وكان بين المدعوين
الكلونيل سيف (سليمان باشا الفرنسي) ولينان بك (لينان باشا الفرنسي)
ودى اسبس الفرنسي (صاحب قنال السويس وكان وقتئذ سكرتيراً لقنصلية فرنسا
في مصر) . وفي أثناء تناول الغداء فطن الحاضرون الى ان ذلك اليوم - ١٥
أغسطس - هو عيد ميلاد نابليون (لأنه ولد في ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩) فصادفت
هذه الذكرى هوى في نفس ابراهيم باشا فأمر في الحال بدمج خروف أمام الحاضرين
ولما جرى دمه قام ابراهيم وكتب بدم الخروف حرفي م . ن (وهما الحرفان الأولان
من اسمي محمد علي ونابليون)

- لاحظ من هيبة وصوله محمد علي باشا وابراهيم ألف السلطان مجلساً في الاستانة
وكان من أعضائه شيخ الاسلام فاستصدر السلطان منه فتوى بعصيان محمد علي وتمرده
هو وابراهيم ووجوب خلع محمد علي الا ان محمد علي لم يأبه بفirman العصيان والتمرد
والعزل واستصدر من الشريف محمد ابن عون أمير مكة فتوى بتكفير السلطان
وجواز خلعه . وبهذا تهاوت الفتويان . وفي خلال سنة ١٨٠٦ أراد السلطان
التخلص من محمد علي فأرسل اليه فرماناً بتعيينه والياً على سالانيك وتعيين موسى باشا
مكانه إلا ان محمد علي تخلص بدهاء

- كان لابراهيم باشا جواد اسمه « درزي »^(١) وقع ذات يوم في قبضة العدو

(١) اعتاد بعض المظاه أن يطلقوا على خيولهم أسماء :

١ - اسكندر الاكبر سمي حصانه بوسيفال (Bucéphale) . ولتخليد ذكره أبدل اسم
مدينة نيابوليس (Neapolis) باسم قواله (Cavalla) ومعناها الحصان . وقواله هذه هي مسقط
رأس محمد علي باشا الكبير . ولما قتل هذا الحصان في إحدى وقائع الاسكندر في الهند شيد مدينة
سمها باسم حواده بوسيفال (Bucéphalie) تقع امام مدينة (Clim) (في الهندستان) . ولما جاءت
العدوة البيزنطية سمت قواله (خريستوبوليس) أي مدينة المسيح . لما ضمت اليونان مقدونيا الجنوبية

فقايض عليه ابراهيم باشا بألف ومائتي رأس من الأبل .

- يقول جيزو كبير وزراء فرنسا ان تركيا فقدت في ثلاثة أسابيع « جيشها وأسطولها وسلطانها » (في ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ فقدت جيشها في وقعة نزيب ، وفي أول يوليه سنة ١٨٣٩ توفى السلطان محمود ، وفي ١٤ يوليه سنة ١٨٣٩ استسلم الاسطول العثماني الى محمد علي) .

- حروب ابراهيم باشا كانت حروباً خاطفة . كان الجيش المصري يزحف بسرعة مذهشة . ألا نراه يحتل نغريافا في ٨ نوفمبر سنة ١٨٣١ . وفي ١٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ (أى بعد أسبوع واحد) يحتل حيفا . ثم يحتل صور وصيدا وبيروت على التوالي . وفي ٥ ابريل سنة ١٨٣٢ يحتل طرابلس . وفي ١٤ ابريل (أى بعد أسبوع) ينتصر في سهل الزراعة . وفي ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ يحتل عكا . وفي ١٣ يونيه يحتل دمشق . وفي ٨ يوليه يحتل حمص . وبعد يومين اثنين يحتل حماه . وبعد أربعة أيام يحتل حلب . وفي ٢٩ يوليه يحتل بيلان . وفي نوفمبر سنة ٣٢ يحتل قونية (على الرغم من بعد المسافة بين كل بلد وبلد) فكانت حرباً صاعقة ساحقة ماحقة . تذكرنا هذه السرعة المدهشة بكلمة وصف بها أمير أورانج le prince d'Orange سرعة زحف الجيش الفرنسي اذ دهش هذا الأمير عندما رأى الجيش الفرنسي أمامه على ضفاف نهر الايسكو في سنة ١٦٩٦ قبل أن يستعد هو لقتاله اذ قال « كنت أعلم ان الفرنسيين له ذراع ولكن ما كنت أعلم ان له أجنحة »

اليها بعد الحرب العالمية الاولى قرر المجلس البلدى لمدينة قوله في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٨ إعادة اسم المدينة القديم إليها فصارت نيابوليس (Neapolis) .

٢ — واشتهر عند العرب كثير من أسماء الحيول ، وربما كانت أعز ما يباع عندهم ، وكانوا يرسلونها على الصيد . وقد أقاموا لها السباق ووضعوا الاسماء للحيول الحلبة . منها المجلى ثم المصلى ثم المسلى .

٣ — ومن الوقائع بين قبائل مضر حرب (داحس والغبراء) بين عيس وذبيان . وسببها أن قيس بن زهير العبسي تراهن هو وحذيفة بن بدر الفزارى في سباق فأجرى الفزارى فرسه الغبراء ، وأرسل العبسي داحساً . فكان داحس السابق لولا كمين — جعلته بنى فزارة — رده قبل أن يدرك الغاية . فادعى كل منهما حق السبق . وثار من أجل ذلك حرب عوان امتدت نحو اربعين سنة .

٤ — وقد سمي المهدي فرسه (الفضبان) .

٥ — وواشنطن (Washington) الاميرك الذى انتصر على إنجلترا وأعان استقلال بلاده الولايات المتحدة الاميركية ، ثم اختير رئيساً للجمهورية ، سمي حصانه نلسن (Nelson) وهكذا !

« Je savais bien que les Français avaient des bras, mais j'ignorais qu'ils eussent des ailes ..

- صحب ابراهيم باشا في حروبه في فلسطين وفي سوريا وفي لبنان وفي الاناضول عباس باشا ابن أخيه احمد طوسون واحمد باشا يكن ابن عمته وسليمان باشا الفرنساوى ومحمد شريف باشا الكبير ابن أخت زوجة محمد على باشا واحمد المنيكلى باشا واحمد بك أمير اللواء وكلوت بك طبيبه الخاص والخواجه حنا بحرى^(١) الذى يقول عنه الدكتور مشاققة في مخطوطه انه « المرسل من طرف محمد على باشا صحبة ولده ابراهيم معاونا ومطلق التصرف بترتيب الملكية والمالية ومجالس الشورى وقد باشر اتمام الترتيبات اللازمة بجميع الأيالة على أكمل وجه. لأنه كان من أفراد الرجال المشهورين بالحنافة وجودة العقل مع غاية الاستقامة بجميع أقواله وأعماله سواء كان بحق مخدمه أو حق الرعايا فأتقن كل ما هو لازم » يعاونه في كل ذلك الأمير بشير شهاب ونجمله الأمير خليل . الى أن قال « وبعد فتح عكا أنعم على يوحنا بحرى برتبة أميرلوا وصار ينعت بحرى بك . ، اما مشاققة صاحب (المخطوط) فهو ميخائيل جرجس مشاققة سكرتير الأمير بشير (كما كان والده من قبل) وهو من أهالى راشيا (بالقرب من دير القمر بلبنان) وقد ولد في سنة ١٨٠٠ وتوفي في سنة ١٨٨٨ وهو الجد الأعلى للدكتور خليل مشاققة ولأخيه الأستاذ توفيق مشاققة .

- بطولة البطل ابراهيم باشا ذاعت في أوروبا فسمّاه ساسة أوروبا Le Sabre vivant (السيف الحيّ) . وكتب قنصل إنجلترا في مصر الى لورد بالمستون Lord Palmerston كبير وزراء إنجلترا في رسالة مؤرخة ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٣٥ قال فيها ان اسم ابراهيم يفعل في النفوس فعل السحر Le nom d'Ibrahim semble talismanique وها بعض أمثلة تؤيد كلمة قنصل إنجلترا :

- بعد ما احتل الجيش المصرى ثغرى يافا ثم ثغر حيفا تقدم زعماء قبائل عرب نابلس وطبرية والقدس وقدموا الطاعة مختارين .
- ولما انتصر ابراهيم على الصدر الأعظم رشيد باشا سلمت حامية خان حصين فوراً بلا قتال .

(١) حنا بحرى هذا هو الجد الأعلى للخواجه عزيز بحرى المثرى المعروف .

- حضر الى ابراهيم ٦٠٠ جندي من جنود الأرتاؤوط وسلموا أنفسهم وطلبوا التطوع في جيشه .

- قدم أهل انطاكية خضوعهم وطاعتهم بلا قتال .

- بعد فرار عlish باشا من اللاذقية جاء عسكر كثيرون من الاسكندرونة وسأموا أنفسهم لابراهيم باشا طائعين مختارين .

- وبعد هذا الاتتصار أيضاً أرسل المفتي السيد محمد اثنين من كبار البلدة أحمد افندي والحاج اسماعيل أغا - أخى محمد باشا أحد القواد الترك - الى ابراهيم باشا يقدمون خضوعهم . كما أرسل متسلم بيلان وأخوه مصطفى باشا يقولان لابراهيم باشا « منذ ٢٠ سنة ونحن نود الانخراط في سلك خدمة عزيز مصر » .

- وقد بلغ ذعر أهالى وحكام أزمير من اسم ابراهيم وفزعهم من اسم الجندي المصري أن تقدم محمد أغا الى حاكم أزمير وطلب منه باسم ابراهيم باشا تسليم المدينة فأذعن في الحال وسلم المدينة مع انه لم يكن مع محمد أغا من الجنود المصريين ربع مرباع الجنود الترك ولا عشر معشارهم .

- أرسل السلطان عثمان باشا اللبيب والياً على أيالة طرابلس الشام ولما دخلها توجه إليه ابراهيم باشا بفرقة من عسكره . وبمجرد ما علم عثمان باشا بقدم ابراهيم باشا هرب . - كان علو باشا والياً على الشام . جمع عشرة آلاف جندي من الأكراد والشوام وبمجرد ما التحم جيش ابراهيم مع جيش علو باشا انكسر جيش علو باشا وهرب علو باشا من دمشق فدخلها ابراهيم .

- مدينة حلب فتحت أبوابها لابراهيم باشا بلا قتال .

- استولى ابراهيم باشا على أيالة أطنة بدون حرب . ويقول الدكتور مشاققة الذي كان يصاحب الجيش المصري (ان الخوف من سطوة ابراهيم شمل كافة البلاد) حتى انه لما سار ابراهيم الى قونية (هرب محافظها) .

- سار ابراهيم باشا قاصداً أيالة كوتاهية وبمجرد أن علم الحكام بقدمه هربوا فدخل ابراهيم كوتاهية بلا قتال . ويعمل الدكتور مشاققة هذا الهروب بقوله (لأن الرعب ملأ جميع البلاد من شدة سطوته) .

- وكان الفلاحون اليونانيون في سهل مودن (بلاد اليونان) يقبلون
يدي ابراهيم باشا عندما كان يمر فكان يلاطفهم ويقول لهم بلغوا اخوانكم في ابوكم
وانى لا أقسو إلا على العصاة المتمردين . وهكذا وهكذا .

- لثقة الحكومات بكفائه ومقدرته قبل السلطان محمود أن يتولى ابراهيم
قيادة الأسطول العثماني والجيش العثماني مع قيادته للأسطول المصري وللجيش المصري
في قمع ثورة اليونان . واجتماع قيادة الجيوش البرية والأساطيل البحرية في قبضة رجل
واحد لا يحدث إلا في النادرة . وكذا لما أرادت فرنسا أن تؤدب داي الجزائر (أى
حاكم الجزائر) عرضت على محمد على باشا أن يقوم بحملة تأديبية على بلاد الجزائر
وقبل (ملك فرنسا أن يضع كبار رجال البحرية الفرنسية تحت إمرة ابراهيم باشا
ليوليه ثقة لم يولها أحداً غيره) . كما ان الفرنسيين قبلوا أن يعهدوا بشؤون الحملة
العسكرية الى ابراهيم باشا . ولما أغار الفرس على بغداد وارضروم في خلال سنة ١٨٢٣
وخرّبوا قرى كثيرة طلب السلطان محمود من محمد على باشا أن يعهد الى ابنه ابراهيم
صد الفرس عن الولايات العثمانية الا ان محمد على اعتذر لانشغال جيوشه في الحجاز
واليمن وكريت .

- وابراهيم باشا هو الجندي المسلم الوحيد الذى استولى على أثينا عاصمة بلاد
اليونان حتى ان أدهم باشا سر عسكر الجيش التركي عجز عن الاستيلاء عليها لما شبت
الحرب بين تركيا واليونان في سنة ١٨٩٦ .

- وقد أسلم على يدي ابراهيم اثنان من كبار الفرنسيين الذين عاونوا نابليون في
حروبه هما الكولونيل آنسلم سيف Anselme Seves الذى أصبح سليمان باشا
الفرنساوى . والكولونيل Mari - وهو من أهالى جزيرة كورسيكامسقط رأس نابليون -
أسلم وأصبح اسمه بكير أغا .

- ومن سمو أخلاق ابراهيم باشا ما عمله في الحوادث الثلاثة الآتية :

- لما أسر عبد الله بن سعود زعيم الوهابيين عامله معاملة كريمة تليق بمقامه . حتى
انه دعاه لتناول الغداء معه وأجلسه بجانبه .
- لما أسر عبد الله باشا والى عكا أحسن وفادته وعامله معاملة كريمة تليق بمقامه .

- ولما أسر ابراهيم الصدر الأعظم رشيد باشا زان رأسه بهالة من الاحترام والاحترام والاحترام
وراعى مركزه السامى لدرجة انه اعتبره (مجرد اعتبار) القائد الأعلى للجيش المصرى .
- حضر ابراهيم الى مصر وعمره ١٧ سنة فرباه أبوه تربية شرعية وثقفه بثقافة
شرقية . علمه اللغة العربية وكان يؤرخ جميع رسائله بالتاريخ الهجرى . أليس هو القائل
(لقد جئت إلى مصر طفلاً فغيرت شمس مصر دمي وجعلته دمًا مصرياً خالصاً) .
وكان يعرف من قبل اللغة التركية واللغة الفارسية ثم تلقى مبادئ اللغة الفرنسية .
وحسب ابراهيم باشا فخراً أنه :

- لم يهزم في معركة واحدة من المعارك التي خاض غمارها في السودان وفي
جزيرة العرب وفي المورة وفي فلسطين وفي سوريا وفي لبنان وفي الاناضول وهذا أمر
لا يقع إلا في النادرة .

- انه في حروبه مع الساطان أسر كثيرين من كبار رجال الدولة . إذ :

- أسر زعيم الوهابيين عبد الله بن السعود في ١٠ سبتمبر سنة ١٨١٩ - ٩
سبتمبر سنة ١٨١٩ .

- أسر عبد الله باشا والى عكا في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ .

- أسر سلحدار كريتلى أوغلو محمد في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٣٢ .

- أسر الصدر الأعظم نفسه رشيد باشا في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ .

- وهزم ١٦ باشا من باشوات سلطنة آل عثمان منهم ٨ باشوات هزمهم في ٨
يوليو سنة ١٨٣٢ وهم :

(١) محمد باشا والى حلب سر عسكر .

(٢) عثمان باشا حاكم المعادن .

(٣) عثمان باشا والى قيسرية .

(٤) علي باشا والى دمشق .

(٥) محمد الكريتلى باشا .

(٦) نجيب باشا .

(٧) دلاور باشا .

- كما هزم عيش باشا والى قونيه . وصادق باشا والى أطنه . وحسين باش
سردار اكرم (في ٣٠ يولييه سنة ١٨٣٣) . وخير الدين باشا . وسعد الله باشا . وحافظ
باشا (في وقعة نزيب في ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩) وسليمان باشا والى مرعش .
- وتزوج فوزى باشا الخاتمة بتسلم الاسطول العثمانى لمحمد على باشا .

- لما انتصر ابراهيم باشا على جيوش السلطان محمود عقدت تركيا ومصر معاهدة
« كوتاهية » بها بسط محمد على سلطانته على مصر والسودان وبلاد العرب وفلسطين
وسوريا وولاية أطنه . فكانت امبراطورية مصرية واسعة الأرجاء تزيد مساحتها على
مساحة نصف اوروبا وتزيد ١٥ مرة على مساحة فرنسا . امبراطورية عظيمة تضارع
امبراطورية نابليون وامبراطورية الفراعنة وامبراطورية الرومان تمتد من النيل الى
الفرات . ومن البحر الأحمر الى البحر الأبيض . ومن فلوات اليمن الى مشارف الشام .
ومن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ومن كعبة المسلمين الى مقدس النصارى الى
مبكي اليهود . امبراطورية جمعت المصرى واليمنى والحجازى والسودانى والعربى
والسورى واللبنى والدرزى والتركى والروسى والأرمنى تحت راية واحدة هى راية
مصر الخالدة وتحت صولجان واحد هو صولجان محمد على الكبير .

- لما مرض محمد على باشا وأصبح عاجزاً عن تولى سلطة الحكم فى مصر أصدر
السلطان فى ٤ يولييه سنة ١٨٤٨ (الموافق ٢ شعبان سنة ١٢٦٤) فرماناً بتولى ابنه
ابراهيم باشا على مصر وأرسل فرمان الى مصر مع مظلوم بك أحد رجال المايين .
وبعد ما حضر مظلوم بك وتلا فرمان امام أعضاء العائلة وامام كبار وعظما
الدولة سافر معه ابراهيم باشا الى استانبول فوصل اليها فى ٢٤ اغسطس
سنة ١٨٤٨ فاستقبله السلطان استقبالا فخا وأنزله فى السراى السلطانية فى الجناح
الذى نزل فيه والده من قبل . ولما مثل امام السلطان سلمه البراءة وقلده نيشاناً
رفيع الشأن مثل النيشان الذى ينعم به عادة على الصدور العظام وأهدى اليه
صورته مرصعة بالأحجار الكريمة . وبعد أن تمت الزيارة عاد ابراهيم باشا الى مصر
على ظهر الباخرة المصرية « بنى سويف » فوصل الى ثغر الاسكندرية فى يوم
٩ سبتمبر سنة ١٨٤٨ .

- سافر ابراهيم باشا الى اورو با مرتين :

مرة في أوائل اغسطس سنة ١٨٤٥ وكانت حاشيته مؤلفة من ٥٠ شخصاً منهم سليمان باشا الفرنساوى وسامى باشا واسكندر بك (ابن سليمان باشا الفرنساوى) ونوبار بك سكرتيره وترجمانه فقصده مدينة فرنيه الحمامات Vernet les Bains في جبال البرانس Les Pyrénées ليستشفى بياها الكبريتية وفيها استقبلته البلدية استقبالا فخماً جداً وأقامت له قوسى نصر كتبت على احدهما بحروف من نور :

« الى بطل قونيه ونزيب »

وكتب على الثانية :

« الى ابن محمد على الأجد »

« الى رافع لواء المدنية في الشرق »

« الى صديق الفرنساويين »

« الى البطل المصرى »

وبعد انتهاء المعالجة سافر الى مدينة بوردو ومنها الى مدينة تور Tours ومنها الى باريس فوصل اليها في يوم ٢٥ ابريل سنة ١٨٤٦ . وفي باريس وقد مكث فيها ٣٤ يوماً زار المتاحف والمعاهد واستقبله ملك فرنسا استقبالا الملوك وأسكنه قصر الأليزية في الجناح الذى سكنه من قبل نابليون الكبير ونام ابراهيم باشا في ذات السرير الذى نام فيه نابليون . وفي مدة اقامته في باريس أقيمت له مأدب رسمية كثيرة جداً أولها مأدبة أدها له ملك فرنسا حضرها حسين بك وحليم بك (حليم باشا فيما بعد) ولدا محمد على كما حضرها معه احمد بك واسماعيل بك (اسماعيل باشا الحديوى) أبناء ابراهيم باشا وكانوا طلبة في المدرسة المصرية التى كان يرأسها مسيو جومار . وحضر تمثيل رواية في الأوبرا كما حضر استعراضاً عسكرياً من ٣٠.٠٠٠ عسكرى شهد ٨ أمراء و ٦ أميرات تحيط بهم هيئة عسكرية من ٦٠ جنرالاً من كبار القواد وكانت دهشة ابراهيم عظيمة جداً عندما رأى في ميدان الاستعراض حصانه « درزى » الذى كان يمتطيه في واقعة « نزيب » . وكان محمد على قد أهداه مع تسعة جياذ أخر الى ملك فرنسا في خلال سنة ١٩٤١ . روى أحد الذين شهدوا

هذا الاستعراض أنه سمع من ابراهيم باشا يقول (ان يوم ٢٥ مايو هو عندي أجمل يوم من أجمل شهر من أجمل فصل من سنة ١٨٤٦) وقال فيه كاتب فرنساوى وما أبلغ ما قال :

* L'Occident n' a pas vu de soldat plus intrépide, plus généreux et plus né pour la victoire. Ouvrez lui le monde, il ira jusqu'au bout,

ومعناه : (لم ترأورو با جندياً أشجع منه . ولا أكرم منه . خلق للنصر والنصر خلق له . اذ فتحت أمامه بلاد الدنيا غزاها من أولها الى آخرها) . ثم زار قبر نابليون فى الأنفاليد وقد استقبله فى مدخل الأنفاليد ٢٠٠٠ جندي من الجنود الذين شهدوا حروب نابليون فى ايطاليا وفى اسبانيا وفى ألمانيا وفى النمسا وفى روسيا . وكان معه سليمان باشا الفرنساوى فلما وقع نظر سليمان باشا على قبر نابليون سيده ومولاه أجهش بالبكاء وكاد يغمى عليه . ولزيادة الحفاوة بابراهيم باشا ضربت الحكومة الفرنسية «مدالية» نقشت عليها صورة محمد على باشا وكتبت عليها (محمد على محيى مصر) ولما بارح ابراهيم باشا باريس سلم محافظ المدينة ٥٠٠ جنيه ليوزعها على الفقراء . - ألم تصدق على محمد على باشا وابراهيم باشا الكلمة التى قالها نابليون فى ٢٥ يناير سنة ١٧٩٨ (اذا أردت الشهرة والمجد فملك بالشرق . الشرق وحده مهد العظمة والعلاء) .

- وفى أثناء وجوده فى فرنسا دعتة الملكة فيكتوريا الى زيارة انجلترا فزار انجلترا وايرلندا واسكتلندا وزار بوجه خاص مدينة لندن ومدينة برمنجهام (حيث زار مناجم الفحم والحديد ومدينة مانشستر حيث زار ١٢ مصنعاً للغزل والنسيج وكان معه فى هذه الرحلة سكرتيره الخاص نوبار الذى يجيد اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية واللغة الايطالية واللغة الألمانية واللغة التركية وكان خير معاون له فى رحلته هذه . وزار مرفأ بورتموث Portsmouth حيث عين الترسانة . وفى المينا طاف بالسفينة الحربية فيكتوري Victori وهى السفينة التاريخية التى قتل فيها الاميرال نلسون Nelson فى معركة الطرف الأغر Trafalgar . وفى لندن أقيمت له مأدبة رسمية كثيرة . منها مأدبة عشاء أقامتها له الملكة فيكتوريا دعت اليها الأمراء والوزراء والكبراء فاجتمع ابراهيم بالبرنس ألبير (زوج الملكة فيكتوريا) وبالبرنس جورج أوف كامبردج وبالذوق ولنجتون (الذى قهر نابليون فى واقعة واترلو) كما اجتمع بالورد بيل Peel واللورد أبردين

Aberdeen ومسترجلادستون . ومن سخرية القدر أنه اجتمع في المآدب الرسمية التي أقيمت له بالأدميرال كودرنجتون الذي حطم الأسطولين المصرى والعثمانى فى نافرين ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ عندما كان ابراهيم باشا متولياً قيادة الأسطول العثمانى والمصرى فى اليونان . كما اجتمع بالسرنايير Sir Napier قائد الأسطول الانجليزى الذى هدد محمد على باشا بضرب الاسكندرية وضرب بيروت بالفعل وضرب موافىء فلسطين وسوريا ولبنان لا كراه المصريين على التخلي عن لبنان وسوريا وفلسطين . كما اجتمع بالورد بالمرستون Palmerston الذى حرض تركيا على مناوأة مصر وكان من الأعداء محمد على وهو الذى سعى لدى السلطان بواسطة سفير انجلترا فى الاستانة بونسونبى Ponsonby واستصدر منه فرماناً بجمع محمد على فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٠ . وفى الولاية التى أقامها له لورد بالمرستون دعا اليها ٢٢ عظيماً من عظماء الدولة . وقد تهافت الشركات الانجليزية وكبار اللوردات الى دعوة ابراهيم باشا الى مآدب كثيرة للاحتفاء به . وفى إحدى المآدب تصادف جلوس الاميرال نايه بجوار ابراهيم باشا وفى اثناء الحديث مال عليه وهمس فى اذنه « إذا ذهب محمد على إلى القسطنطينية فليحذر من تناول القهوة التى يقدمونها له . . . »

وبعد ما أبحر ابراهيم من انجلترا مرّ على البرتغال ونزل فى عاصمتها لشبونه . وعند نزوله بها علم أن الملكة وضعت ولداً فذهب فى الحال الى الكنيسة وحضر الصلاة التى كانت قائمة شكراً لله . ومن لشبونه أبحر الى قادس فى أسبانيا ومنها الى جبل طارق ثم الى مالطه ووصل الى الاسكندرية فى يوم ٥ أغسطس .

والمرّة الثانية التى سافر فيها ابراهيم باشا الى أوروبا كانت للمعالجة . سافر يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٨٤٧ ووصل الى مالطه ومنها ذهب الى ايطاليا وفيها زار مدينة بيزا ثم مدينة فلورنسا واستقر به النوى فى مدينة نابولى حيث قضى فصل الشتاء وفيها لحق به والده الذى كان أبحر من ثغر الاسكندرية فى شهر فبراير سنة ١٨٤٨ للمعالجة هو أيضاً .

وقد لقي ابراهيم ربه فى رشيد يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ الساعة الواحدة بعد

نصف الليل . بعد ٤٠ يوماً من تسلمه فرمان تعيينه والياً على مصر . أما أبوه فلبث والياً ٤٠ سنة . وقد مات بعد ابنه ابراهيم في ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩
- أما زوجات المغفور له ابراهيم باشا والى مصر ومستولداته فهنّ :

(١) خديجة (برنجى قادن) توفيت بالقاهرة في سنة ١٢٨٧ هجرية - ١٨٧٠ ميلادية . ودفنت بمدفنها بالعفنى ورزق منها الأمير محمد بك الذى ولد في سنة ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية وتوفى في ٧ ربيع الأول سنة ١٢٥٣ الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٣٩ ودفن بالامام .

(٢) شيوه كار قادن . توفيت في مصر سنة ١٢٨١ هجرية - ١٨٦٤ ميلادية . ودفنت بالامام وقد رزق منها بالأمر أحمد رفعت باشا الذى ولد في ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٤١ - ٨ ديسمبر سنة ١٨٢٥ . وتوفى في شوال سنة ١٢٧٤ - ١٥ مايو سنة ١٨٥٨ في حادثة سقوط قطار سكة الحديد بكفر الزيات ودفن بالامام .

(٣) خوشيار قادن . وقد وقفت أما كن عرّة شرطت صرف ربعها على مسجد الرفاعى . توفيت في مصر في ٢١ يونيه سنة ١٨٨٦ ودفنت بمسجد الرفاعى وقد رزق منها بالحديدو اسماعيل الذى ولد في سراى المسافر خانة في ليلة الاثنين ١٧ رجب سنة ١٢٤٥ - ١٢ يناير سنة ١٨٣٠ واستوى على الأريكة الخديوية يوم ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ - ١٩ يناير سنة ١٨٦٣ وتوفى في سراى أمرجيان باستانبول في ٦ رمضان سنة ١٣١٢ - ٢ مارس سنة ١٨٩٥ ودفن بمسجد الرفاعى بمصر .

(٤) ألفت قادن . توفيت باستانبول في سنة ١٢٨٢ هجرية - ٢ مارس سنة ١٨٩٥ ميلادية . ودفنت بالسلطان أيوب . وقد رزق منها الأمير مصطفى بهجت فاضل الذى ولد في القاهرة في ٢٩ شعبان سنة ١٢٤٥ - ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٠ وتوفى في استانبول في ١٢ شوال سنة ١٢٩٢ - ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ثم نقلت رفاته الى مصر في خلال سنة ١٣٤٥ هجرية - ١٩٢٦ ميلادية . ودفن بالجامع المسمى باسمه بشارع درب الجمايز بالقاهرة .

(٥) كلزار قادن . توفيت في مصر في ١٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ - ١٩ أكتوبر سنة ١٨٦٥ . ودفنت بالعفنى ولم يرزق منا أولاداً .

(٦) ساره قادن . توفيت في مصر في ١٤ شوال سنة ١٢٨٦ - ١٧ يناير سنة ١٨٧٠ . ودفنت بالعففى ولم يرزق منها أولاداً .

وكان للمغفور له ابراهيم باشا بنتان : الأميرة أمينة التى توفيت في سنة ١٢٤٥ هجرية - ١٨٢٩ ميلادية . والأميرة فاطمة التى ولدت في ٢ ربيع الاول سنة ١٢٣٩ - ٦ نوفمبر سنة ١٨٢٣ . وتوفيت في سنة ١٢٤٨ هجرية - ١٨٣٢ ميلادية . وكلتاهما دفنت بالامام بالصالة الكبرى . ولعلمهما رزقنا له من كلزار قادن وحدها أو من ساره قادن وحدها أو واحدة من كل واحدة منهما .

أما أولاد ابراهيم الذكور فهم :

الأمير محمد بك ولد في سنة ١٨١٤ (سنة ١٢٢٩ هـ) وتوفى في ٢٤/١٢/١٨١٩ (٧ ربيع أول سنة ١٢٣٥) ودفن بمدافن الامام الشافعى .

الأمير احمد رفعت ولد في ٨/١٢/١٨٢٥ الموافق ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٢٤١ . ومات في حادث سقوط قطار السكة الحديد في كفر الزيات في ١٥ مايو سنة ١٨٥٨ أول شوال سنة ١٢٧٤ .

الحديو اسماعيل ولد في ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٠ (٢٩ شعبان سنة ١٢٤٥) توفى في الاثنين يوم ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ (١٢ شوال سنة ١٢٩٢) .

- ولتخليد ذكرى البطل ابراهيم سموا النيل الأبيض باسمه (كما سموا النيل الأزرق باسم أخيه اسماعيل بن محمد على باشا الكبير وهو الذى توفى حرقاً في شندى) كما سموا بحيرة أو جندا - « الاسماعيليه » باسم اسماعيل باشا ابن ابراهيم - كما استبدل اسم بحيرة من بحيرات خط الاستواء - وهى بحيرة كيوجا -

باسم « بحيرة ابراهيم » والكونيل لونج Chaillé-Long هو الذى سماها فى ١١ اغسطس سنة ١٨٧٤ باسم بحيرة ابراهيم ^(١) .

- ولما حفر دلسبس قنال السويس أنشأ اسماعيل باشا ثغراً أسماه باسم أبيه « ثغر ابراهيم » (لم يعمر طويلاً مثل بور سعيد و بور توفيق و بور فؤاد) .

- وفى سنة ١٨٦٧ أمر اسماعيل باشا بحفر الترعة الشهيرة الآخذة من أسيوط وبعد ما تم حفرها سميت « الترعة الابراهيمية » (من منطق نامه لسان اسماعيل باشا باسم والده ابراهيم باشا - كذا) . وطول هذه الترعة ٢٦٨ كيلو متراً كان الغرض من حفرها زراعة المناطق التى تمرّ منها زراعة صيفية . وقد استخدم لحفرها ١٠٠.٠٠٠ شخص من صعايدة قنا وجرجا وأسيوط وقد عاونه فى حفرها واتمامها بهجت باشا وثاقب باشا وسلام باشا واسماعيل باشا محمد . ولما أقيم مهرجان دخول المياه فى الجزء الأول من الترعة قام بدفع نفقات المهرجان الخواجه ويصا بقطر من أعيان أسيوط .

ولما احتفل حفيدة المغفور له فؤاد الأول بالعيد المئوى لاستيلاء جده ابراهيم باشا على قلعة عكا استبدل اسم شارع كامل ^(٢) باسم شارع ابراهيم .

- كما استبدل اسم ميدان الاوبرا باسم ميدان ابراهيم باشا .

- كما أقام اسماعيل لأبيه تمثالاً كبيراً فى ميدان ابراهيم .

(١) وقد سعى صاحب السو الاميران محمد على توفيق ويوسف كمال لاعادة اسم « بحيرة ابراهيم » لهذه البحيرة ولم يوفقا حتى الآن فعسى يكون الاحتفال بالذكرى المئوية لوفاته هذا البطل العظيم فرصة مناسبة لتجديد سعى يكلله النجاح . وها ما قاله الجنرال غوردون باشا فى صدد هذه البحيرة :

Pour ceux qui cherchent à savoir comment on est arrivé successivement à la découverte des sources du Nil, devront reconnaître que la première partie est due à Speke, la seconde à Baker, la troisième avec le lac Ibrahim au Colonel Chaillé-Long. - "GORDON"

(٢) قلّة من يعرف من هو كامل الذى سمّى هذا الشارع باسمه . هو يوسف كامل باشا رئيس مجلس الاحكام بالاستانة سابقاً وزوج زينب هانم كريمة المغفور له محمد على باشا الكبير . وهو الذى وقف فى ٢٤ شوال سنة ١٢٧٧ بطريق وكالته عن زوجته السرايين الكائنتين بالازبكية (فندق شبرد الآن) مع الاراضى المحيطة بهما .

واذا كان لابراهيم تمثال واحد في قلب العاصمة فله عشرون مليوناً من التماثيل
في قلوب عشرين مليوناً من المصريين .

الأب والابن

محمد علي العقل الجبار الرأس المفكر الحزم والسياسة

ابراهيم باشا السيف البتار الذراع المنفذ العزم والشجاعة

فرحمهما الله رحمت واسعة عدد مآثرهما ومناقبهما .^(١)

عزير فهايكى

(١) كتبنا هذه المقالة في مجلة (الكتاب) عدد اول نوفمبر سنة ١٩٤٨ بمناسبة الذكرى

المئوية لوفاة البطل ابراهيم باشا

كتب المؤلف

- ١ — رسائل في الوقف
- ٢ — الطعن في الأحكام بطريق النقض والابرام (ترجمة كتاب مسيو دوهلتس)
- ٣ — قضاء المحاكم في مسائل الأوقاف (نقله إلى الفرنسية اخي الأستاذ يعقوب خانكي)
- ٤ — خواطر خواطر
- ٥ — ما هنا وما هنالك
- ٦ — مجموعة مذكرات في بعض قضايا شهيرة
- ٧ — عشر رسائل في القضاء والتشريع
- ٨ — مسائل قانونية ورسائل شتى
- ٩ — شؤون مصرية — طبعة أولى
- ١٠ — — — — — ثانية فيها اضافات
- ١١ — قنال السويس
- ١٢ — أحاديث
- ١٣ — أحاديث جديدة
- ١٤ — فرض ضريبة على التركات والهبات والوصايا
- ١٥ — الرق والعق والولاء شرعاً ونظاماً
- ١٦ — الحكر والوقف والتقادم
- ١٧ — اختلاف الدارين ومتى يكون مانعاً من الإرث — وترجم الى اللغة الفرنسية
- ١٨ — معجزة من معجزات الاصلاح الزراعى
- ١٩ — الملكية العقارية في مصر
- ٢٠ — ديون مصر
- ٢١ — الصورية ووجوب اعتبارها جريمة
- ٢٢ — المماثلة في الخصومة وعلاجها
- ٢٣ — ترك وأتاتورك — ترجمه الى اللغة الفرنسية نجلنا الأستاذ جميل خانكي

- ٢٤ — قتال فاروق الأول
 ٢٥ — الذكرى المشوية لواقعة نزيب
 ٢٦ — المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية — ماضيها — حاضرها — مستقبلها
 ٢٧ — المحاماة قديماً وحديثاً — بالاشتراك مع الأستاذ جميل خانكي
 ٢٨ — التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية
 ٢٩ — نفحات تاريخية
 ٣٠ — حياة إسكندر الأكبر
 ٣١ — نابليون ومحمد علي
 ٣٢ — طرائف تاريخية
 ٣٣ — شذرات في الأدب واللغة والتاريخ
 ٣٤ — خاطرات تاريخية

تحت الطبع

- ١ — الآثار المصرية القديمة.
 ٢ — القضاء على المذاهب الأربعة
 ٣ — الأحوال الشخصية لغير المسلمين
 ٤ — محمد علي الكبير وذريته
 ٥ — الأمثال السائرة (القانونية والشرعية) بالعربية والفرنسية واللاتينية
 ٦ — لذعات . كلمات . نكات
 ٧ — ٥٠ سنة محاماة
 ٨ — موافقات تاريخية
 ٩ — L'esprit français dans l'histoire et dans la littérature
 ١٠ — Fleurs historiques
 ١١ — Glanes historiques
 ١٢ — Mélanges historiques
 ١٣ — Portraits politiques
 ١٤ — Pensées choisies